وزارة التعليـم العـالي والبحـث العلمـي

جـامعة محمد بوضيـاف –المسيـلة–

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلـــية : الآداب واللغـــات الرقم التسلسلي:.....

قســـم : اللغة والأدب العربي رقم التسجيل:13/MD12/036

بنية الشخصية في رواية أيام قبل السقوط لمنذر المدفعي

مذكـــرة مكملة لنيـــل شهـــادة المـــاستر

ميدان: لغة وأدب عربي فرع: أدب عربي تخصص:أدب عربي حديث

من إعداد الطالبة: إشراف :

بخوش السعدية * د/ واسيني بن عبد الله

تاريخ المناقـــشة:.2015/05/31

أمام لجنة المناقشة:

* خليفة عـــوشاش : / رئيسا.

* واسينـي بن عبد الله : / مشرفا.

* بن عبد الله فتح الله : / ممتحنا.

السنة الجامعية : 2014-2015

الحمد لله نستعينه ونشكره ونهتدي به ، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل

فلن تجد له وليا مرشدا

قبل كل شيء نحمد الله ونشكره سبحانه عز وجل ونقول :

﴿ اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى ﴾

واعترافا بالجميل لا يسعنا هنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى : والدي

وعمتي .

وإلى الأستاذ الذي

أشرف على هذا العمل ولم يبخل علينا بالإرشادات والنصائح : من أجل إتمامه والذي

أعطانا من وقته وجهده ونصائحه القيمة :**واسيني بن عبد الله .**

إلى العاملين بمكتبة الفردوس

كما أتقدم بالشكر إلى أعز انسان في حياتي أخي بخوش فاروق . وإلى زوجي كما اشكر

كل من ساعدني في هذا العمل ولو بالكلمة الطيبة

﴿ السعدية ﴾

مقدمـــــة:

بسم الله الرحمان الرحيم، وصل اللهم و بارك على سيدنا محمد صاحب الخلق الطاهر، صلوات الله عليه و على آله و على أصحابه و من والاه إلى يوم الدين.أما بعد:

لقد كان الشعر ديوان العربي قديما، كان كلامهم اليومي ومؤنس مجالسهم، وحديث أسواقهم، أما في العصر الحديث فأصبحت الرواية ديوان العرب و احتلت مكانة كبيرة في الساحة الأدبية العربية، بالموازاة مع الأجناس الأدبية الأخرى فقد أصبحت محور اهتمام المبدعين و الدارسين و النقاد على حد سواء، لأنها استطاعت أن تستوعب مشاكلهم وهمومهم، وأن تعبر عما يختلجهم من أفكار وقيم، وعن علاقتهم بمحيطهم، وأعطت الأديب فسحة مكانية واسعة للتعبير عن أفكاره وميوله،وإن العمل الروائي يقوم أساسا على استراتيجية السرد، أو التقنية السردية الحكائية، و المتحكم في هذه العملة السردية ما هو إلا لعبت الأحداث و الحوارات، ووصف الأماكن و الأزمنة و الشخصيات، وهذه الأخيرة تعتبر قوام العمل الروائي وعموده الفقري و مرتكزه ، حيث ينهض بها النص الروائي ليعطي أبعادا سواء أكانت نفسية أم اجتماعية أم ثقافية أم علمية أم سياسية... فالرواية عمل متناسق يجمع بين الإبداع "الفن" من جهة، ورسم معالم الواقع من جهة أخرى، والكاتب يقوم ببناء شخصياته بناء مميزا، ويصورها تصويرا يوافق المجتمع الذي تنتمي إليه لتكون دالة على الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها، فتكشف عن نظرتها الواعية إلى العالم،وهناك دراسات سابقة تناولت موضوع الشخصية منها، "الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية وهوية الانتماء. رسالة ماجستير.

وإذا كانت دوافع البحث العلمي قد فرضت بحثنا هذا، فإن من وراء تلك الدواعي أسباب أخرى تدفع الفرد أن يسلك هذا الطريق من خلال تلك لبحوث العلمية الثقافية، التي تغذي فكره وتساعده في تشكيل موهبته، وقد يكون ميلنا إلى الرواية بسبب بعض الآثار العميقة التي تركتها بعض الروايات في نفسيتنا من بين الدوافع التي أدت بنا إلى اختيار هذا

الموضوع، حيث كان اهتمامنا يرتكز على الرايات العراقية رغبة منا في الإطلاع على ما حدث في العراق في فترة القصف سنة 2003، بعيون وأقلام روائية عراقية، وكذلك قلة البحوث التي تناولت الشخصية في الرواية، بالإضافة إلى رغبتنا في محاولة تحليل شخصية منذر المدفعي وفق رؤية اجتماعية نفسية.

لهذا اخترت موضوع دراستي بنية الشخصية في رواية أيام قبل السقوط لمنذر المدفعي، فكانت الانطلاقة من إشكالية فحواها:

-كيف تجلت هيكلة الشخصيات الروائية في رواية أيام قبل السقوط لمنذر المدفعي؟

وتفرعت عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات منها:

1- ما الأبعاد التي شغلتها الشخصيات في الرواية؟
2- مما استمد منذر المدفعي ملامح شخصياته في الرواية؟
3- كيف قسم منذر المدفعي هذه الشخصيات؟

وقد اعتمدنا في هذا البحث المنهج الوصفي المناسب لهذه الدراسة، حيث قمنا بوصف الشخصيات، أما التحليل فيكمن في البحث عن الأبعاد الدلالية للشخصيات في الرواية على حسب تنوع كل شخصية ثانوية كانت أم بطلة.

أما الهدف من هذه الدراسة فهو معرفة أغوار الشخصية عند منذر المدفعي وكيف تجلت ملامحها في أحداث الرواية،أما خطة البحث فقد قسمنا البحث إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

خصصنا الفصل الأول من البحث (البنية والشخصية في الرواية العربية) فدرسنا فيه تعريف البنية ، ومن ثم الشخصية الروائية ، مفهومها في اللغة عند علماء الاجتماع ، عند علماء النفس ، في النقد الأدبي ، والنظرة التقليدية والحديثة للشخصية الروائية ، أنواع الشخصية الفنية أبعادها ، طرق تقديم الشخصية ، علاقة الشخصية بالمشكلات السردية الأخرى .

أما الفصل الثاني الموسوم ب(بنية الشخصية في أيام قبل السقوط لمنذر المدفعي) تناولنا فيه الشخصيات المحورية الرئيسة ، الشخصيات المساعدة (الثانوية) الشخصيات غير العاملة ، علاقة الشخصيات فيما بينها .

ثم أنهينا البحث بخاتمة تعرضنا خلالها إلى أهم النتائج التي تحصلنا عليها كما زودت البحث بقائمة من المصادر والمراجع ، فمن الطبيعي أن يتطلب الموضوع قراءة مصادر ومراجع متنوعة الموضوعات ، والاختصاصات ، واعتمدت في ذلك على المصدر الأول المتمثل في رواية أيام قبل السقوط لمنذر المدفعي ، ومجموعة من المراجع نذكر منها ، في نظرية الرواية لعبد الملك مرتاض ، النقد الأدبي الحديث لمحمد غنيمي هلال ، فن القصة لمحمد يوسف نجم ، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي ، وصبيحة عودة زعرب، أما عن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث فهي قلة المصادر والمراجع التي تناولت الرواية العراقية وبالخصوص رواية أيام قبل السقوط.

نحمد الله ونشكره على أن أمدنا بالقوة و الإرادة للخوض في هذا العمل

كما لا أنسى أن أتقدم بوفير الشكر والعرفان للأستاذ المشرف الذي شرفني بإشرافه على هذا البحث ومساعدته لي في هذا البحث فإليك الشكر أستاذي الدكتور : واسيني بن عبد الله

كما أتقدم بالشكر لأساتذتي أعضاء لجنة المناقشة، والذين تحملوا عناء قراءة هذا البحث وتقويمه وتقييمه .

مدخل إلى الرواية العراقية:

مفهوم الرواية:

تعتبر الرواية وثيقة تاريخية يسجل عليها ما يمر به المجتمع من أحداث وظروف، فهي تتناول مشكلات الحياة ومواقف الإنسان منها في ظل التطور الحضاري السريع الذي شهده المجتمع الإنساني خلال هذا القرن.

أ-لغة:

يقول الجوهري في كتاب الصحاح: " الرواية من التفكير في الأمر، فرويته على أهلي إذا أثبتهم بالماء يقال: من أين يرتكم الماء؟ من أين تروون الماء.

ورويت الحديث والشعر رواية فأنا راوي في الماء والشعر والحديث ونقول أنشد القصيدة هذا ولا تقل أرويها إلا أن تأمر بروايتها أي استظهارها"[1].

ب- اصطلاحا:

تعتبر الرواية مرأة عاكسة للمجتمع، فيه تنقل قضايا الإنسان عبر مراحله فهي وعاء تجاربنا وخبراتنا ورؤانا...[2] كما أنها تترجم أحاسيسه وترسم واقعه " لهذا كانت الرواية أسمى حقل للحوادث الحسية وأسمى بيئة تبحث الطريقة التي تظهر لنا فيها الحقيقة"[3].

فالرواية جنس من الأجناس الأدبية القائمة بذاتها فهي: أكثر الأجناس الأدبية مرونة،[4]بالإضافة إلى أنها تتشكل أمام القارئ تحت الف شكل مما يفسر غياب تعريف جامعا مانعا.

[1]أحمد محمد: الرواية الإنسانية وتأثيرها على الروائيين العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، ص26.
[2]تينظر:بشير بويجرة محمد: بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، (1970-1986)، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر، 2002، ج1،ط1، ص20.
[3]ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجزائرية الجديدة، تر: أنطونيوس، منشورات عويدات، بيوت، 1986، ط3، ص07.
[4]مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، 2005، ط1، ص33.

وذلك لأننا نلقى الرواية تشترك مع الأجناس الأخرى في كثير من الخصائص، فيعرفها أحد الباحثين الغربيين: "إنها نثر روائي واقعي كامنا في ذاته وله طول معين" فالرواية " فالرواية بطبيعتها غير قابلة للتقنين إنها جنس يبحث بشكل دائم ويحل ذاته أبدا سعيا وراء احتواء ومختلف عناصر الحياة الإنسانية[1]

فالواقعية اتجاه ظهر نتيجة للبرجوازية والمظاهر المادية متبعين بذلك الفكر اللبرالي تحت مقولة " دعه يعمل دعه يمر" مما يجعل من هذا الواقع المرير يؤثر بصورة أو بأخرى على الأدباء مما دفع بهم إلى توديع الخيال والغور في ثنايا الواقع بمتغيراته، وهذا ما أكده هاري في مقولته " الواقعية حركة في القصة الفرنسية التي بلغت أوجها ما بين 1850-1855...وعكست فوق ذلك نفور لناس والوقاية من الحماسة الغامضة أوبمعنى خاص الرومنتيكية للغموض في الابهام"[2]

" فالرواية الفنية من حيث لونها ومصطلحاتها هي بذرة من القرن الثامن عشر، وقد إتجه إليها القراء من عامة المجتمع في بداية نشأتها"[3].

نشأة الرواية العراقية:

نظرا للظروف الجغرافية والسياسة التي تعرفها العراق فقد تأخر ظهور الرواية في العراق عن باقي الدول العربية الأخرى نظرا لأنها بعيدة عن أوربا مصدر الرواية وكذلك عن مصر التي كانت رائدة في مجال الرواية آنذاك " وكما يشير يوسف عزالدين، فقد كان تطور فن القصة في العراق من مظاهر القرن العشرين"[4].

فهذه الظروف هي التي تسببت في تأخر ظهور فن الرواية، وقد تميزت التجربة العراقية عن مثيلاتها في الوطن العربي بسبب طبيعة التطورات السياسية والاجتماعية في تاريخ العراق

[1] ميخائيل باختين: الملحمة والرواية، تر: جمل شحيذ، معهد الإنماء العربي ، بيروت، 1982، ص66.
[2] حلمي مرزوق: الرومنتيكية الواقعية في الأدب، الأصول الإيدلوجية، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص57.
[3] محمود العيد تاورتي:
[4] روجر ألن: الرواية العربية، تر: حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، د،ط ، ص39.

الحديث منذ نشوء دولته عام 1921، صراع سياسي دموي، حركة مسلحة في جبال العراق منذ أربعينيات القرن الماضي، انقلابات عسكرية دموية أدت إلى دكتاتورية دموية، قادت إلى حروب دموية وحصار اقتصادي طويل، ثم احتلال.

هذه الظروف كلها أفرزت في ربع القرن الأخير تقسيما حادا بين نمطين من السرد:

الأول: مكتوب في ظل الدكتاتورية، وقد تميز بـ: نصوص التجأت إلى الرمز والأسطورة وتاريخ العراق القديم، في بنية روائية أضافة أشكال فنية جديدة إلى السرد العربي، لكنها تحاشت الخوض في محنة العراق في زمنها، ونصوص بررت ثقافة الحرب في بنية روائية مجدة قيم القتل والعنف، ونصوص تناولت مناحي الواقع الاجتماعي في زمنها لكنها تحاشت جوهر المعاناة، فالتبس السرد ووقعت الشخصيات في لجة الغموض، نصوص تحاشت بشكل عام الاقتراب من المحرمات الثلاثة: السياسة والدين والجنس[1].

الثاني: مكتوب في ظل الحرية في المنفى، وقد تميز بـ: رسم أبعاد الإنسان العراقي الواقع في ظل الدكتاتورية والحرب رسما اتسم بالعمق والوضوح، مصورا معاناته وعذابه وخوفه ومقاومته وعناده وخيبته وانكساره، مراجعة التاريخ العراقي الحديث من خلال نصوص روائية تبحث فيه، في محاولة لقراءة تاريخ العنف من خلال بنية العلاقات الاجتماعية والسياسية التي أدت إلى هذا الحاضر المأساوي،ظهور بنية روائية جديدة من خلال تراكم نصوص السيرة الروائية التي تميزت بحرارة تجربة كتابها الذين خاضوا الحرب في الجبهات وجربوا مرارة التشرد، والتزموا الصدق في الكتابة، وهو ما ولد لنا نمطا روائيا جديدا في تاريخ الرواية العراقية والعربية يحتاج إلى دراسات متخصصة، تناول "تيمات" جديدة لم تطرق إليها الرواية العراقية، كمعاناة المنفى واختلاف الثقافات ومشكلة الهوية، ومعاناة الجندي في المؤسسات العسكرية العربية بنموذجها العراقي وتجربة النضال المسلح، ومعاناة المقاتل في جبال العراق

[1] سلام إبراهيم: الرواية العراقية: رصد الخراب، المركز العربي للأبحاث ودارسة السياسات، ص1.

إذا تنفرد هذه التجربة الطويلة، كنموذج يكاد يكون وحيدا في الوطن العربي، والحفر في بنية المجتمع الأخلاقية، وتعرية زيف القيم والأعراف والتقاليد، هز المحرمات الثلاثة: الجنس والدين والسياسة[1].

بعد مخاض طويل وعسير، ولدت أول رواية عراقية مستكملة شرطها الفني، وذلك بصدور رواية" النخلة والجيران" لغائب طعمة فرمان 1966، وهي رواية متعددة الأصوات، تناولت واقع بغداد أيام الحرب العالمية الثانية، ثم تلتها رواية" خمسة أصوات" للروائي نفسه سنة1967، الذي تناول فترة الخمسينات ومخاظها الفكري والسياسي إبان احتدام الصراع الذي توج بولادة النظام الجمهوري على يد العسكر، ثم صدرت لفرمان – الذي سينفرد بتثبيت أركان الرواية العراقية الفنية– رواية " المخاض" سنة 1974، التي تناولت عراق ما بعد عام 1958 من خلال مغترب[2].

لتأتي بعد ذلك روايته "القربان" سنة 1975م، عنيت هذه الروايات في معظمها بتصوير الأجواء الشعبية، واستخدمت اللهجة العراقية الدارجة في الحوار[3].

وأغلب هذه الروايات كتبت في المنفي، لأن المنفى وفر فسحة الحرية في كتابة نصوص واضحة صريحة عن عذاب العراقي وخوفه وهلعه ومقاومته ومعاناته وهو يواجه الموت يوميا، كنصوص كل من شاكر الأنباري في رواياته " الكلمات الساحرة "1993م، " ليالي الكاكا" 2002م، " وجنان الحلاوي" في روايتها " ياكوكتي" 1991م، ورويات سلام عبود ورويات سليم مطر وغيرهم[4].

أضافت تيمات (موضوعات) جديدة إلى النص الروائي العراقي والعربي، فلأول مرة تتناول النصوص تجارب الجندي العراقي وعذابه أثناء الخدمة العسكرية زمن السلم وزمن الحرب،

[1] سلام إبراهيم: المرجع السابق، ص2.
[2] المرجع السابق،ص3.
[3] المرجع السابق ، ص4.
[4] المرجع السابق، ص09.

بعد أن كان الموضوع من محرمات الكتابة في الأوطان العربية إلا من زاوية الدفاع عن الوطن.

وهذه الرويات تتحدث عن ما يحدث " ورسم تلك المعاناة التي يدفع ثمنها العراقي المسالم، الذي تعصف به السياسة والأطماع في أرضه بما تختزنه من ثروات جلبت له البؤس وعدم الاستقرار كما جلبت له العنف الذي سرعان ما تحول من عنف وقتل في المعتقلات والسجون زمن صدام حسين إلى عنف وقتل يومي في الشوارع والبيوت والمقاهي إبان فترة الاحتلال الأمريكي سلطات الطوائف في الأعوام التسعة الأخيرة" [1].

جل الروائيين العراقيين اتخذوا من الواقع مادة دسمة لروياتهم، فصورت بشاعت الحرب، وبؤس الفقراء ومعاناة الجندي في ساحات القتال، وقساوة المنفى وما حدث للعراق بعد سقوط نظام صدام– الذي أسماه كاتب هذه السطور الدكتاتور– من طائفية واقتتال العراقيين، في حين أمريكا نالت مرادها من النفط وتركت العراق يتخبط في محنته.

ورواية أيام قبل السقوط رواية من وحي المجتمع العراقي لمنذر المدفعي لم تخرج عن هذا السياق وقد تحدثت عن الحصار وما فعل بالفقراء وعن الجنود في المعسكرات والذين لا يملكون سوى تنفيذ الأوامر، وكيف حدث القصف، وكيف كان سقوط بغداد في أيام معدودة، رواية واقعية أكسبت النص وشخوصه حيوية، وكأننا أمام شخوص لغوية تحولت إلى كائنات من لحم ودم نتعاطف معها بشغف ونحس بمعاناتها سواء كانت شريرة أم خيرة.

[1] المرجع السابق، ص27.

ملخص الرواية:

تتحدث الرواية عن أجواء بغداد أيام القصف، أيام الحصار ومن ثم أيام القصف سنة 2003. وذلك من خلا مجموعة شخوص من الطبقة الكادحة في المجتمع ومن الجنود في المعسكرات والجبهات.

ناجي الشخصية المحورية في الرواية، شاب عراقي رسام ينتمي إلى عائلة فقيرة– وما أكثر هذه العائلات الفقيرة في العراق بسبب الحصار– درس في الجامعة في كلية الفنون الجميلة، أحب فتاة تدرس معه تنتمي إلى الطبقة البرجوازية تقدم لخطبتها مع عمه ولكن والدها رفض تزويجها منه، أنهى ناجي دراسته الجامعية وذهب إلى تأدية الخدمة العسكرية وهناك عاش أصعب أيام حياته، في مكان لا يعرف فيه سوى عبارة نفذ ولا تناقش وقساوة العقاب، وتعسفية الأوامر، خصوصا عقوبات ستار التي يطبقها على الجميع دون استثناء.

أما أحمد صديق ناجي فقد قرر الفرار من الخدمة العسكرية وعدم العودة إلى المعسكر والعزلة في غرفته.

لا أحد يعرف ما سيحدث في الأيام القادمة بين تصريحات وتوعدات بوش، وتنديدات صدام، الحرب ألقت بظلالها بالرغم من أن لجان التفتيش لم تجد أي سلاح نووي في العراق الكل يترقب وينتظر ما ستفضي به الأيام القادمة، زادت مخاوف الجنود ومعها مخاوف ناجي من الحرب والدمار والموت.

أوقف التسريح وحتى الإجازات في المعسكر ومع هذا تحطمت أمال الجنود، غادروا المعسكر وتوجهوا نحو مزرعة، خلت الشوارع من سكانها وأطفالها ونسائها، رجالها وشيوخها، أغلقت واجهات المحلات وخلت المنازل من ساكنيها، شاهد عبد العظيم عم ناجي هذا المنظر وقرر أن يلزم بيته، حاول أعضاء حزب البعث التشويش على الطائرات الأمريكية بالدخان المتطاير في السماء ولكن كل هذا لم ينفع، وقع القصف في ساعات الفجر الأولى،

أطلقت الطائرات عياراتها النارية في كل مكان، قصفت المنازل والمساجد كل شيء قصف حتى قصر صدام، خرج السكان من منازلهم إلى الملاجئ ولم تستطع طائرات العراق إسقاط أي طائرة من طائرات العدو، قصفت المزرعة أيضا وقتل جميع الملازمين كل من في المزرعة إلا ناجي الوحيد الذي نجى من القصف، ولم يستطع المعسكر الدفاع عن نفسه، فكيف يستطيعون الدفاع عن هذا الوطن.

انتهى القصف فقد سقط النظام بسرعة، تجول الجنود الأمريكيون في الشوارع دون أي خوف عاد السكان إلى منازلهم وخرج أحمد من عزلته إلى الشارع لأنه أصبح حرا، انتحر عبد العظيم لأنه رفض أن يرى البلاد على هذا الحال الذي آلت إليه، توجه الشعب إلى الشارع وهتف الجميع بالحرية، وتوجهوا لأخذ نصيبهم المسلوب من النفط، نهب المواطنون جميع الأملاك والأموال في الدوائر والبنوك والوزارات وساعدهم الجنود الأمريكيون على ذلك دون الاقتراب من كعبة أمريكا التي أتوها حاجين قطعوا في سبيلها الصحاري التي لم تطأها قدم بشر من قبل، جاؤوا من أجل النفط.

أخذت أمريكا مرادها وانصرفت، أسقطت النظام، وتركت العراق يتخبط في ويلات الطائفية، العنف والاقتتال اليومي، سقط النظام وسقطت بغداد، خسرت العراق كل شيء ولكن أمريكا ربحت وأخذت مبتغاها.

الفصل الأول : البنية والشخصية في الرواية العربية

تعريف البنية:

في منتصف القرن العشرين ظهرت مناهج نقدية وجديدة مع ظهور اللسانيات على يد دي سوسير ومن بينها البنيوية التي تعتمد أساسا على البنية، وسنقف عند تعريفها.

1- لغة :

يقول ابن منظور في لسان العرب بنى البنّاء البناء، بنيا وبناء وبنى مقصورة، وبنيانا وبنية وبناءه، والبناء المبني، والجمع أبنية وأبنيات جمع الجمع...(والبِنية والبُنية ما بنيته وهو البنى...يقال بنية، وهي مثل رشوة ورشا، كأن، البنية الهيئة التي يبنى عليها مثل المشية والركبة)[1].

كما تدل البنية في (معجم الوسيط) على هيئة، ومنه بنية الكلمة أي صبغتها[2]. تبدوا البنية دالة على الهيئة التي تنتظم وفقها، العناصر، المواد داخل البناء أي العناصر.

2- اصطلاحا:

مفهوم البنية عند "غراو راسون" إن الاثر الأدبي يتألف من عنصرين: البنية أو التركيب، النسج أو السبك، نعني بالأول المعنى العام للأثر الأدبي، وهو الرسالة التي ينقلها هذا الأثر بحذافرها، إلى القارئ، بحيث يمكن التعبير عنها بطرق شتى، أما النسيج فالمراد به الصدى الصوتي للكلمات والأثر وتتبع المحسنات اللفظية والصور المجازية والمعاني التي توحي إلى العقل بالمدلولات للكلمات المستعملة[3].

---

[1] ابن منظور : لسان العرب، ج1، تحقيق عامر أحمد حيدر، رجعه عبد المنعم خليل، منشورات محمد علي، بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص58.

[2] مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، القاهرة، دار احياء التراث، ط2، 1973، ص92.

[3] عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2006، ص77.

ودي سوسير هو أول من جاء بمصطلح البنية، والذي كان يعبر عنه بمصطلح النسق أو النظام وتدل البنية على نسق يتحدد العنصر ضمن بوضعيات واختلافات، فتغدو منظومة من علاقات وقواعد تركيب ومبادلة تربط بين مختلف حدود المجموعة الواحدة[1].

مصطلحات في البنية: يمكن أن نذكر بعض المصطلحات التي تدخل ضمن البنية وهي:

بنية:

مفهوم يشير إلى النظام المتسق الذي تتحدد كل أجزاءه بمقتضى رابطة التماسك تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات أو العلامات التي تتفاضل ويحدد بعضها بعضا على سبيل التبادل[2]. أي أن البنية عبارة عن نظام متسق وهي تجعل من اللغة وحدات وعلامات تختلف فيما بينها وتحدد عل سبيل التبادل.

2-بناء:

مصطلح يشير إلى القواعد التقليدية المضمرة في النص معين من أجل استنباطها استنباطا منطقيا عن طريق العلامات المرتبطة بشكل مباشر بالقواعد التي بمقتضاها يتم التأليف بين العلامات وتداولها في الاثر الأدبي[3].

طريقة بناء النص بقواعده التقليدية ترتبط بالعلامات والقواعد.

3-بنية الشخصية:

[1] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف الجزائر،2009،ط1،ص121.
[2] سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار العربية ،ط1،2001،ص143.
[3] المرجع نفسه، 143.

مصطلح يستعمله الناقد للدلالة عن تصور افتراضي تفسيري مستنتج من بعض المظاهر السلوكية التي تكشف عن مجموعة من الاتجاهات والدوافع المستنتجة من تصرفات البطل أو الشخصية الموجودة في نص القصة أو الرواية، التي تتميز بتطورها خلال تطور الزمن في القصة أو الرواية[1].

وهو يشير إلى تصورات يستنتجها القارئ أو النافذ ويستنتج من خلال تصرفات البطل أو الشخصية الموجودة في القصة أو الرواية، وتتطور الشخصية بتطور الزمن في القصة أو الرواية.

المبحث الثاني: الشخصية الروائية

[1] المرجع السابق:124.

1-مفهوم الشخصية:

تحتل الشخصية أهمية خاصة في الأبحاث والدراسات منذ القدم وحتى عصرانا الحالي، بوصفها عنصرا مهما في العمل القصصي وقد مر مفهوم الشخصية بتطورات الشخصية بتطورات مختلفة تبعا لتطور النتائج النقدية.

أ-لغة:

يشير المعجم اللغوي إلى دلالة لفظة الشخصية من خلال مادة (ش خ ص) تعني سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصيته، والشخص هو كل جسم له ارتفاع وظهور وجمعه أشخاص وشخوص، وأشخاص يعني ارتفاع وشخوص ضد الهبوط، كما تعني السير من بلد إلى بلد، وشخص بصره أي رفعه فلم يطرق عند الموت[1].

وهذه المعاني تشير إلى ذات الإنسان أو فعل مرتبط به، وقد ربطت تلك المعاني بالرؤية، مما يعني أنه شيء حسي خاص بالإنسان دون غيره، أما عن كلمة شخصية، فقد جاءت مترجمة عن اللغة الفرنسية في القرن الثاني عشر ميلادي، وهي مشتقة من الأصل اللاتيني persona، وهذا الأصل كان يدل في البداية على القناع الذي يصنعه الممثل على وجهه أثناء تأدية الدور المسند إليه، ثم صارت بعد ذالك تدل على الدور نفسه[2].

ب- الاصطلاح:

[1]ابن منظور: لسان العرب، دار صادر،بيروت، ذات مادة الشخص، ص50.
[2]مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، القاهرة، دار احياء التراث، ط2، 1973، ص92.

-عند علماء الاجتماع:

نجد أن علم الاجتماع معنى بالشخصية بوصفها أحد أسس النظام الاجتماعي، فالمجتمع يقوم على علاقات متبادلة يكون الفرد فيها عنصرا هاما، تؤثر الشخصية في تفاعله مع المجتمع ، كما يؤثر المجتمع على بناء الشخصية وتكوينها وقد عرف أحد علماء الاجتماع الشخصية على أنها "التكامل النفسي والاجتماع السلوكي عند الكائن الإنساني الذي تعبر عنه العادات والاتجاهات والآراء"[1].

وقد يتعارض من السلوك الاجتماعي مع السلوك الفيزيولوجي إن جاز التعبير على الرغم من الصلة المتبادلة بينهما، لذالك فإنه الجانب الاجتماعي الهام في الشخصية يكمن في أنها تنمو في المواقف الاجتماعية، وتعبر عنها من خلال التفاعل مع الآخرين لهذا يهتم عالم الاجتماع بمعرفة تكوين الشخصية وبقائها وتغيراها، ومختلف العوامل المؤثرة فيها، وإن كان يصيب جميع اهتماماته على المؤثرات الاجتماعية ومن هنا يمكن القول بأن اهتمام علماء الاجتماع بدراسة الشخصية كان محصورا في العوامل الثقافية والاجتماعية التي تكونها[2].

ب-عند علماء النفس:

أما ظهور الشخصية في علم النفس فإنه متعدد وهذا تبعا للمحددات التي يصنعها المحللون لدراسة طبيعة الشخصية ونموها وتقسيمها ، وكذالك علاجها، ومن هان فثمة من يعرفها بالنظر إلى الصحة النفسية في " توافق الفرد مع ذاته وغيره" ويركز السلوكيون على المظاهر الخارجية للشخص على اعتبارها مجموعة العادات السلوكية

[1]Schultg and itztheoronality ,lca,bookes, coleef 5 the ed 1994 p39.
[2]سامية حسن الساعتي: الثقافة والشخصية،درا الفكر العربي/ط3، ص811.

للفرد في حين يرى علماء التحليل النفسي أن الشخصية هي قوى داخلية تواجه الفرد في كل تصرفاته"[1].

ويمكن حصر أهم التعريفات الشخصية في علم النفس في أربع مجموعات:

-المجموعة الأولى تنظر إليها بوصفها مثيرا خارجيا.

-المجموعة الثانية تنظر إليها من جانب المؤثرات المختلفة.

-المجموعة الثالثة تعرفها باعتبارها متغيرا يرتبط بعوامل تتجاوز المثير والاستجابة.

-أما المجموعة الرابعة فتركز على تفاعل الشخصية مع العوامل المختلفة بوصف الشخصية وحدة نتائج متداخلة منها الثابت والمتغير.

ولكل مجموعة مما سبق عناصر يرتكز عليها مفهوم الشخصية وتلك العناصر هي محور الدراسات النفسية في تنوعها واختلافها فيما يتعلق بنظريات الشخصية وطبيعتها وأساليبها.

في النقد الأدبي:

يثير أغلب النقاد إلى فكرة غموض مفهوم الشخصية فميشال زيرافا يقول:" أنه من الصعب تحديد تعبر الشخصية الأدبية"[2].

أما فيليب هامون ففي أكثر من مرة يقول في إحدى مقالاته بعض الدراسات الحديثة قد لاحظت أن مقولة الشخصية ظلت وبشكل مفارق إحدى المقولات غموضا في الشعري.

[1] Pervin tawivence ;personality theory,asses and reseacch ng,john wily and sons 1970,p33.
[2] عبد الوهاب الرفيق: في السرد، دراسات تطبيقية، دار محمد على الحامي، تونس،1998،ص126.

ولقد ذكر "بودلير" في تسمية للشخصية:"بإخوة الفنون" يعد من أبرز عوامل الغموض في الشخصية فهي مشتركة في استخدامها مع مختلف الفنون المسرح، الرواية، الشعر[1]. فلم يحدد مفهوم الشخصية ومن أسباب غموض مقولة الشخصية الروائية قلة اهتمام الكتاب والنقاد بها كونها انسانا من الواقع الحياتي تقول فيرجينيا وولف في مقال لها حول الشخصية الروائية " دعونا نتذكر قلة ما نعرفه عن الشخصية وهذا في حدود عام 1925[2]"

فيمكن للكاتب أن يعرف الشخصية الخيالية من الداخل في بروي أقوالها وأفعالها وأحلامها وانفعالاتها في سيرورة الحكاية ونهايتها التي تعني نهاية الشخصية، في هذا المعنى بقوله: فقد ظل مفهوم الشخصية عقلاء ولفترة طويلة من كل تحديد دقيق مما جعل منها أكثر الجوانب الشعرية غموضا[3]"

ويقول محمد عزام في كتابه تحليل الخطاب الأدبي، وقد وقع النقد الحديث في مغالطة حين طابق بين المؤلف والشخصية المتخيلة التي اعتبرها لسان حال المؤلف أو الشخصية البديلة عنه وقد تتجلى هذا أكثر مايكون في روايات الاعترافات والسير الذاتية والروايات المرورية بضمير المتكلم وهذا الخلط بين المؤلف والراوي أعاق فهم الشخصية الروائية، التي هي ليست المؤلف الواقعي بل هي محض خيال يبدعه المؤلف لغاية فنية، والتطابق الذي حدده القراءة بينهما ما هو إلا سوء تأويل ساذج، إذ ليست الشخصية سوى قضية لسانية، عند تودوروف، الذي يجردها من محتواها الدلالي ليسند إليها الوظيفة النحوية فيجعلها الفاعل في العبارة السردية[4]، وصعوبة تحديد مقولة الشخصية أدى إلى الخلط بين الشخصية والراوي أو المؤلف، ولكن سرعان ماتجه

[1] المرجع السابق:ص126.
[2] إبراهيم: الرواية المغربية،شكل النص السردي في ضوء البعد الايديولوجي دار الرائد للكتاب الجزائر،ط1،2005،ص344.
[3] حسين بحراوي: بنية الشكل الروئي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء ،ط1، 1990،ص207
[4] محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، دراسة في النقد من منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2003،ص194 [4]

النقاد إلى هذه المقولة فبدؤوا في البحث عن مفهوم دقيق للشخصية كل حسب منهجه في الدراسة.

الشخصية في النص الروائي:

احتلت الشخصية في النص الروائي مكانة كبيرة فقد أولاها الكاتب مكانة محورية في محركة الأحداث وهي الفاعلة في الزمان والمكان أيضا، ويعرفها محمد غنيمي هلال:" الشخصية ركن من أركان الرواية، وهي العنصر الفاعل الذي يساهم في صنع الحدث يؤثر فيه ويتأثر به، ودون الشخصية العاملة المدركة يفقد كل من الزمان والمكان قيمتهما ومعناهما فعلى الرغم من وجود الزمان والمكان مستقلين عن الإنسان فإنهما يظلان بال قيمة خارج وعي الإنسان[1].

والشخصية في الأدب تؤخذ من الواقع ومع ذالك فإنها تختلف بطريقة أو بأخرى عمن نألفهم أو نراهم فالكاتب القصصي يهتم بستنباط شخصيته من الواقع بما يستعين بتجاربه التي عاشها أو عاناها أو لاحظها، والكاتب وإن كان يعرف كل شيء عن شخصياته فإنه لا يفضي بكل شيء فلا يحق له أن يذكر تفاصيل الحياة اليومية إذا لم تكن على صلة بأحداث القصة أو فكرها، ولا تدل على الحالة النفسية للأشخاص أو عاداتهم أو تقاليدهم، والأشخاص في القصة هم مدار المعاني ومحور الأفكار والآراء العامة[2]. ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياه ، إذ لا يسوق القاص أفكاره وقضاياه العامة المنفصلة عن محيطه بل ممثلة في الأشخاص.

[1]محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت،ط1،1982،ص562.
[2]المرجع نفسه،ص562.

2- النظرة التقليدية والحديثة للشخصية.

أ- النظرة التقليدية للشخصية:

أصبح للشخصية في الرواية منذ القرن التاسع عشر مكانا بارزا فصار لها وجود مستقل عن الحدث بعد أن شهدت الشخصية إعراضا غن دراستها كونها ذات طبيعة مطاطية جعلتها مواكبة لكثير من المقولات دون أن تستقر على واحدة منها[1].

منذ أرسطو خضعت التقاليد الأدبية المرتبطة بالشخصية إلى تحولات عميقة فأصبح من الصعوبة التعرف على مفهوم الشخصية في إطاره "الدياكروني".

ومن المعروف أن المأساة عند أرسطو أساس المحاكاة عمل ما، فكان من الضروري وجود شخصيات تقوم بذالك العمل، تكون لكل منها صفات فارقة في الشخصية والفكر، تنسجم مع طبيعة الإعمال التي تنسب إليها، وفي هذا التحديد الارسطي تكون طبيعة الأحداث هي المتحكمة في رسم صورة الشخصية، وإعطائها أبعادها الضرورية والمحتملة، وتصبح المأساة لا تحاكي عملا من أجل أن تصور الشخصية، ولكنها بمحاكاتها للعمل تتضمن محاكاة الشخصية، من حيث صفاتها الاخلاقية وما تعبر عنه من حقائق[2].

لذالك فالحدث هو الذي يحدد الشخصية من منظور الشعرية الأرسطية، إذ تعد عنصرا ثانويا بالقياس إلى باقي عناصر العمل التخيلي وقد تبنى المنظورون الكلاسيكيون هذا التصور، إذ الشخصية في نظرهم ليست إلا مجرد اسم للقائم بالأحداث[3].

وقد يعود اهتمام الروائيين في القرن التاسع عشر بالشخصية، إلى تطور قيمة الفرد في المجتمع ورغبته في السيادة، فيرى "آلان روب" أن الاهتمام للشخصية يعود

[1] فتحي بوخالفة : لغة الأدب النقدي الحديث، عالم الكتب الحديث الأردن، 2012، ص235.
[2] ديفيد ديتش: منهج النقد الأدبي، ترجمة محمد يوسف نجم، مراجعة حسان عباس، دار صادر بيروت، 1967،ص49-50.
[3] المرجع نفسه،ص50.

إلى ارتقاء قيمة الفرد ورغبته في السيادة، مما أدى بالنقاد إلى جعل الشخصية تختزل مميزات الطبقة الاجتماعية، وأصبحت عناصر السرد توظف لإظهار الشخصية، وتعامل الشخصية في هذا الفترة، على أساس أنها كائن حي له وجود فيزيائي ومدلي فتوصف ملامحها، قامتها، صوتها، ، أهواءها وهواجسها ألأمها آمالها[1].

كانت وظيفة الشخصية الروائية لدى نقاد القرن التاسع عشر، تتمثل في اختزال مميزات الطبقة الاجتماعية وتصاعد قيمة الفرد في هذه الحقبة، التاريخية، ودوره الفاعل في حركة المجتمع، وهذا ما يطلق عليه " ألان روب" غريبة بالعبادة المفرطة الإنسان[2]، ويربط الان روب هذا الاهتمام بصعود الفرد البورجوازي إلى قمة السلطة وإشاعته قيمة الطبقية[3].

وصارت الشخصية ذات وجود فعلي متعدد المستويات لا تستمد شرعيته من الأفعال وحدها، بل أضحت ذات هوية وخصائص، والدليل على ذالك أنها جاءت في بعض الأعمال السردية، مدار القصة ومادتها، فكأن الشخصية في الرواية التقليدية هي كل شيء بحيث لا يمكن أن نتصور رواية دون طغيان شخصية مثيرة يقحمها الروائي فيها[4].

فلا يمكن أن نجد صراعا حقيقا دون وجود شخصيات تتصارع فيما بينها داخل العمل السردي وهي التي تفعل الحدث ويصبح للمكان معنى بوجودها وللزمان مكانة بحضورها.

[1] عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، مطابع الرسالة، الكويت، 1998، ص76.
[2] حسن بحراوي، بنية شكل الروائي، مرجع سابق، ص208.
[3] محمد عزام، تحليل الخطاب، ص194.
[4] عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية،ص76.

ب- النظرة الحديثة للشخصية:

مع بداية القرن العشرين بدأت النظرة للشخصية تتغير فحاول الروائيون والنقاد التقليل من سلطتها في الأعمال الروائية وأنشئوا يجنحون إلى الحد من غلوائها والإضعاف من سلطتها ولم يعد عند البعض إلا مجرد كائن ورقي بسيط[1].

فقد تخلت الشخصية عن القوة العظمى للشخص، وهكذا انتقل خلل المجتمع إلى الشخصية الروائية التي حطمت القواعد المتفق عليها، فاختفت أو كادت مع الرواية الجديدة فأصبح فلوكنر :يسمى شخصيتين مختلفتين في رواية واحدة باسم واحد، ويقتصر كافكا في روايته على تعريف شخصيته بالحرف الأول من أسمها ، ويغير بيكت اسم شخصيته وشكل بطله في العمل الواحد ويعلن لوكتشن القطيعة بين البطل والعالم فيطلق تسمية البطل الاشكالي على الشخصية التي تقوم بالبحث عن القيم الاصلية في العالم المنحط[2].

وقد أخذ السرد الحديث بعين الاعتبار انسجام هذه الأحداث التي تقوم بها الشخصية، مع طبيعتها النفسية والمزاجية، وهكذا ظهر المضمون السيكولوجي للشخصية في الأدب والنقد وذالك بتقديم الحياة الداخلية التي تعيشها الشخصية.

وفي معرض التطورات الاجتماعية التي صقلت تطورات الإنسان الذهنية وصاغت سلوكاته على نحو خاضع للتطورات الجديدة تحدد مفهوم الشخصية في العلاقة بينها وبين العالم والمجتمع الذي تنغرس في تربته، إذ لا يمكن أن تظل مرتبطة بحياة مجتمع انتهى.

بينما ينفي ولاك وارين علاقة الشخصية بالواقع ويختزلها في الجمل التي تقدمها وصفا أو سردا أو تنطقها فهي حسب هذه المعطيات مجردة من البعد النفسي، أما "

[1] المرجع السابق: ص76.
[2] محمد عزام التحليل الروائي، مرجع سابق،ص194.

فلادمير بروب" فلم يهتم في كتابه" مرفولوجيا الحكاية" هو ينطلق أساسا من ضرورة دراسة الحكاية، اعتمادا على بناءها الداخلي، أي على دلائلها الخاصة وليس الاعتماد على التصنيف التاريخي أو التصنيف الموضوعاتي الذين قام بهما من سيبقوه في البحث[1]. ونظر اليها من زاوية الوظائف وتأتي الشخصيات لخدمتها .

وقد قام بروب بتوزيع الوظائف على الشخصيات الأساسية في الحكاية العجيبة، فرأى أن هذه الشخصيات الأساسية تنحصر في سبع شخصيات:

1-المتعدي أو الشرير 2-الواهب 3-المساعد 4-الاميرة 5-الباعث 6-البطل (أو البطل الزائف) كما لاحظ أن كل شخصية من هذه تقوم بعدة وظائف، وهكذا فالشخصية لم تعد تحدد بصفاتها وخصائصها الذاتية بل بالأعمال التي تقوم بها ونوعية هذه الاعمال[2].

وهذه المواقف كلها تقسوا على الشخصية ولكن هناك مواقف أنصفة الشخصية منهم "تودورف" الذي يرى بأن للشخصية دور أساسي في النص الروائي بحكم أنها المكون الذي تنتظم انطلاقا منه مختلف عناصر الرواية،

يقول "تودورف": شكل الشخصية قبل كل شيء لساني، لأنه لا يوجد خارج الكلمات ولأنه أيضا كائن ورقي[3].

ومن الذين أعادوا للشخصية اعتبارها بوصفها فاعلا، "كلود بريمون" وهو يرفض إقصاء الشخصية من بنية القص قائلا:" إن الوظيفة ليست فقط ترجمة الحدث، إساءة، معركة، انتصار، دون عون ولا ضحية معينة، وكأنه ليس من الأهمية بمكان أن تعرف من القائم بالإساءة، سيصبح بعد ذالك واحدا من المتصارعين ثم غالبا أو مغلوبا في

[1] حميد لحمداني: بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط3،2000،ص23.
[2] المرجع نفسه ص25.
[3] تزفيطان نودوروف: مفاهيم سردية، ترجمة عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف،ط1،2005،ص71.

المعركة، فهو يعزز من مكانة الشخصية التي يعود اليها الفضل في التعريف بالوظيفة من زاوية مصالح أو مبادرات الشخصيات التي تكون ضحيتها أو فاعليتها[1].

وأنجز ايتان سوريو عملا مثل عمل بروب بعد عشرين سنة، وهذه المرة انطلاقا من المسرح ميز سوريو شخصيات الأدوار التي يسميها " الوظائف الدرامية" ويلمح لإمكانية توزيع غير منظم[2].

وهي تختلف عن الوظيفة عند بروب فيشير إلى أن هناك بطل وهو يتزعم اللعبة السردية، هذه الشخصية تعطي قوة الدفع إلى الأمام وهناك البطل المضاد، وهو القوة المعاكسة التي تعرقل قوة الدفع، وفي هذا يتضح أن الشخصية دورا في ترسيمته "بخلاف ترسيمية بروب"

أخذ "غريماس" التحليليين السابقين "بروب" و"وسوريو" محاولا وضعهما في تركيب كما حاول من ناحية أخرى مقاربة بين هذا الجرد للأدوار والوظائف التركيبية في اللغة، إلا أن فكرة الشخصيات عنده هي العوامل التي تبرز شيئا من الاختلاف عن مفهوم الادوار عند"سوريو" و"غريماس" انطلق من العوامل لا من الأحداث ،ولقد وضع في هذا الاطار نموذجا لتحليل يقوم على ستة عوامل مؤلفة على ثلاث علاقات.

ولقد رأى "غريماس " أن "بروب" وضع مفهوم العوامل دون أن يضع بالضرورة المصطلح نفسه، وخاصة عندما وزع الوظائف المتعددة على سبع شخصيات، وهي التي اعتبرها غريماس بمثابة عوامل[3].

[1] عبد الوهاب توفيق،في السرد، مرجع سابق،ص150-149.
[2] تزفيطان نودوروف: مفاهيم سردية، ترجمة عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف،ط1،2005،ص77.
[3] حميد الحمداني: بنية النص السردي، مرجع سابق،ص33.

تألف عوامل "غريماس" في ثلاث علاقات: علاقة الرغبة، علاقة التواصل، علاقة الصراع، كما أن مستوى الممثلين ومستوى العوامل والعلاقة بينهما في إطار التحليل يكشف العلاقة بين الشخصيات والعوامل.

أم "زولان بارت" فيعد موقفه وسطا حيث يؤنسن الشخصية ويجعلها في الوقت نفسه علامة لسانية تنتج الخطاب، كما أن الخطاب و الشخصيات التي تضطرب عبر علاقة معقدة تقوم على التمثيل العاطفي والجمالي للأحياء والأشياء، وكأن الخطاب يصبح عبر هذه المعقدة مجرد شخصية.

أما فيليب هامون فقد حاول أن يستفيد من الآراء المختلفة، حيث يعد الشخصية علامة لسانية، وإنسانا حيا من الواقع ومفهومها معنوي، وشيء من الجمادات كالدقيق والفيروس وهو يشير إلى الدارسين الذين استفاد منهم (غريماس، تودوروف، سوريو، وبريمون،بارت).

يقول هامون: أن الشخصية مورفيما فارغا في البداية ...لا تمتلئ إلا في أخر صفحة من النص.[1]

وهو يرى أن الشخصية باعتبارها مفهوما سيميولوجيا يمكن أن تحدد في مقاربة أولى كمورفيم مفصل بشكل مضاعف....من خلال دال منفصل مجموعة من الاشارات يحيل على مدلول منفصل معنى أو قيمة الشخصية[2].

ويقصد بالمورفيم المصطلح اللساني الذي يعني أصغر وحدة صوتية لها معنى حيث يؤكد إذن أن الشخصية قضية لغوي.

[1]فيليب هيمون : سيمولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بنكراد، دار كرم الله، الجزائر،2012،ص40.
[2]المرجع نفسه ص33.

إن الشخصية وحدة دلالية، وإذا قبلنا فرضية المنطلق أن الشخصية رواية ما تولد من وحدات المعنى، إلا من خلال جمل تنطق بها أو يتلفظ بها عنها، وفي نص آخر يجعلها إنسانا تؤدي دورا اجتماعيا في الحياة، وقد تكون عنده شيء، كالوصف والفكر والفيروس والسهم والشركة والدقيق ذالك، فيقول في هذا المجال:"فالوصف في رواية واقعية يعتبر عاملا جماعيا مشخصا إلى حد ما.فالفكر في عمل هيجل يمكن اعتبارها شخصية، الشركة مجهولة الاسم ،السلطة، السهم، المشروع، الرئيس، المدير العام، كلها تشكل شخصيات لا تبرز إلا في نص قانوني.

بعد كل ما سبق يتبين لنا أن هناك تباينا في المواقف حول مقولة الشخصية ويصعب إيجاد صيغة توحدها، ولعل اختيار موقف "هامون" يعد نوعا من التوافق بين هذه الآراء المختلفة تجاه الشخصية في الرواية.

بالإضافة إلى رأي هامون يمكن اعتماد رأي يمنى العيد: الذي يقترب به من رأي "فيليب هامون" من حيث التوزيع في استعمالات الشخصية، مع الاحتفاظ على دورها الهام في النص الروائي، حيث تقول: أن الشخصية الروائية ليست مجرد نسيج من الكلمات بلا أحشاء لذا يبدو التأويل في تحليل الخطاب الروائي اختيار بعيدا للشخصية الروائية، طابع الحياة كما يحافظ عليها ككائن حي[1].

ومهما قيل في أمر الشخصية إلا أنه لا يمكن إنكار قيمتها وأهميتها ومنزلتها، فهي الأساس المعتمد على التفريق بين الاعمال السردية وسائر أجناس الأدب الأخرى في أي مجتمع فهي تمثل فيه "وسيلة كل بحث وغاية[2]" وبالأحرى تمثل العمود الفقري لأي عمل سردي حيث تلتف حولها الأحداث والمواقف ، وتستقطب عناصر السرد، وتمتص مختلف الانوية المشكلة لنسيج النص.

[1] يمنى العيد: دلالات النمط السردي في الخطاب الروائي، تحليل رواية"رحلة غاندي الصغير" ملتقى السيميائية والنص الأدبي،عنابة،1995،ص238.

[2] عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي فزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ص34.

والشخصية الروائية وسيلة لتجسيد رؤيته والتعبير عن الاحساس بالواقع فالكاتب يستمد شخصياته من الناس الذين يقابلهم في حياته اليومية أو من يقرأ عنهم، أو يسمع عنهم، ثم يضيف إلى الشخصية من خياله ليسد به الفجوات لتبدوا الشخصية أقرب ما يكون إلى عالم الحقيقة والواقع ومن خلال تصرفات الشخصيات[1]. وبما أن القصة مدار المعاني و الإنسانية ومحور الأفكار والآراء ولهذه الأفكار والمعاني المكانة الأولى في القصة منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياه، إذ لايسوق القاص أفكاره العامة المنفصلة، عن محيطها الحيوي بل من الواقع متمثلة في الأشخاص الذين يعيشون في المجتمع، فلا مناص من أن تحيا الأفكار في الأشخاص وسط مجموعة من القيم الإنسانية، يظهر فيها الوعي الفردي متفاعلا مع الوعي العام، حسب ما يهدف إليه الكاتب في نظريته إلى هذه القيم، ولا مناص من اتساق هذه الأغراض مع الغرض الفني، وهذا مظهر الصراع النفسي والاجتماعي ليقوم به أشخاص ضد عوامل طبيعة وقد يقوم به الشخص ضد نفسه.

وتتعدى الشخصية الروائية، بتعدد الاهواء والمذاهب والايديولوجيات والثقافات والحضارات، والهواجس والطبائع البشرية، ويسخر الروائي الشخصية لإنجاز الحدث فتخضع بذالك إلى صرامة الكاتب وتقنياته، وتصوراته، وأيديولوجياته، وفلسفته في الحياة[2].

وبقدر ما يكون الروائي قادرا على تصوير الشخصية من الناحيتين النفسية والفكرية تزداد قدراته على إيجاد الاشكاليات التي تضع مواقف نلمحها في أنفسنا أو في الناس قريبين منا أو نعرفهم أو قد سمعنا بعض حكاياتهم أو قصصهم.

[1] محمد عبد الغاني المصري: مجد محمد الباكير البرازي، الورق للنشر والتوزيع،ط1،2001،ص177-178.
[2] عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية،ص89.

3-أنواع الشخصية وأبعادها الفنية

أ- أنواع الشخصية الفنية:

تتنوع الشخصية الروائية بحسب أطوارها عبر العمل الروائي وهناك تقسيمات عديدة للروايات منها:

تقسيم عبر الحركة والسكون، وهو ما قسمه فورستر إلى الشخصية سطحية بسيطة ومستديرة معقدة.

1- الشخصية النامية(متحركة متطورة مدورة):

يحتوي كل عمل روائي على الشخصيات ثابتة وشخصيات متطورة ولكل منها وظيفة في العمل، فالشخصية المتطورة في نظر د. محمد نجم هي التي تكشف لنا تدريجيا وتتطور بتطور حوادثها، ويكون تطورها ظاهرا أو خفيا وقد ينتهي بالغلبة أو بالإخفاق والمحك الذي تتميز به الشخصية النامية هو قدرتها على مفاجئتنا بطريقة مقنعة، فإذا لم تفاجئنا بعمل جديد فمعنى ذالك أنها مسطحة أما إذا فاجئتنا ولم تقنعنا فمعنى ذالك أنها شخصيات مسطحة تسعى إلى أن تكون نامية[1].

أي أن الشخصية المتطورة لم تكتمل نموها بعد.

أما عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي فزق:" هي الشخصيات التي تأخذ بالنمو والتطور والتغير إيجابا وسلبا حسب الأحداث ومعها ولا تتوقف هذه العملية إلا في نهاية القصة[2]. وتتمثل الشخصيات النامية في: عباس الحلوى في (زقاق المدق

[1] محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الثقافة بيروت،ط4،1963،ص104.
[2] عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي فزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ص135.

) وحسين في (بداية ونهاية) لنجيب محفوظ، كما توجد في أعمال ديستويفسكي وجوركي[1].

ويؤكد فورستر على أن المحك للشخصية المستديرة هو: هل هي قادرة على إثارة الدهشة فينا بطريقة مقنعة؟ فإذا لم تدهشنا فهي مسطحة والشخصية النامية تمثل اتساع الحياة داخل صفحات الرواية[2]، تتطور الشخصية النامية وتنمو بصراعاتها مع الأحداث أو المجتمع فتتكشف للقارئ كلما تقدمت في القصة، وتفاجئه بما تعني به من جوانبها وعواطفها الإنسانية المعقدة ويقدمها القاص على نحو مقنع فنيا[3]، وتعد المفاجئة والإقناع شرطيين أساسين في الشخصية النامية بحيث يصبح كل تغير في موقف الشخصية وكل تصرف من تصرفاتها يؤدي إلى تطور في أحداثها، كما يؤدي تطور الحدث إلى تغير موقف الشخصية.

2-شخصيات ثابتة مسطحة:

يسمي البعض هذا النوع من الشخصيات بالثابتة أو الجامدة أو النمطية وهي التي تبنى حول الفكرة واحدة ولا تتغير طوال الرواية "فلا تتطور ولا تتغير نتيجة الأحداث وإنما تبقى ذات سلوك أو فكر واحد ذات مشاعر وتصرفات واحدة[4]"

ولا تدهش القارئ أبدا بما تقوله أو تفعله، ويمكن الإشارة إليها بنمط ثابت، وقد عرفها د.محمد هلال بأنها" الشخصية البسيطة في صراعها، غير المعقدة وتمثل صفة أو عاطفة واحدة، وتظل سائدة بها من بداية القصة وحتى نهايتها" مثل شخصيات (عودة الروح) لتوفيق الحكيم والشيخ درويش في (زقاق المدق) لنجيب محفوظ[5].

---

[1] صبيحة عودة زعرب، غسان كنفالي، جماليات النص السردي في الخطاب الروائي، دار مجد لاوي للمشر والتوزيع،ط1،2006،ص121.
[2] المرجع نفسه،ص121.
[3] محمد غنيمي هلال: مرجع سابق، ص566.
[4] عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي فزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ص134.
محمد غنيمي هلال: مرجع سابق، ص.565

وضحها محمد نجم: بأن لها فائدة كبيرة في نظر الكاتب والقارئ مما يسهل عمل الكاتب بأنه يستطيع أن يقيم بناء هذه الشخصية التي تخدم فكرته طوال القصة.

أما القارئ يجد في مثل هذه الشخصيات بعض أصدقائه ومعارفهم الذين يقابلهم كل يوم[1]. وبقدر حاجة الروائي للشخصيات النامية المتطورة يكون اهتمامه بالشخصية النمطية لسد الثغرات والتحام ما يجري في الرواية والعالم الواقعي، والروائي ولا يغفل الجوانب الشخصية التي تميز الفرد عن الآخرين عبر التجوال في دهاليزه النفسية وسلوكه اليومي، ولكن مجموع الملامح النفسية وأشكال السلوك تصوغ فيما بينها نمطا بشريا أكثر مما تصوغ الشذوذ والاستثناء[2]،ومع ذالك فقد تقتضي فنية القصة شخصية ثابتة فتؤدي دورها وتخدم القصة على خير وجه.

ويزعم ميشال زيرافا بأن فوستر يميز تمييزا لطيفا بين النوعين من الشخصيات إذ الشخصية المدورة يشكل كل منها، عالما كليا ومعقدا في الحيز الذي تضطرب فيه الحكاية المتراكبة وتشع بمظاهرها كثيرا ماتتسم بالتناقض ، بينما الشخصيات المسطحة تشبه مساحة محدودة بخط فاصل[3].

وهناك تقسيم أخر للشخصية من حيث ارتباطها بالاحداث.

1-الشخصية الرئيسة:

أو هي الشخصية المحورية وتتمثل في البطل الذي تتمحور حوله الأحداث في الحكي وهي التي يصطفيها القاص لتمثل ما أراد التعبير عنه من أفكار وأحاسيس[4]، أي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام، وهي الشخصية تظهر أكثر من الشخصيات الأخرى

[1] محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الثقافة بيروت،ط4،1963،ص103

[2] صبيحة عودة زعرب، غسان كنفالي، جماليات النص السردي في الخطاب الروائي، دار مجد لاوي للمشر والتوزيع،ط1،2006،ص127.

[3] عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية،ص88

[4] شريبط أحمد شريبط: تصور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، دار القصبة للنشر، الجزائر ،دط،2009،ص45.

ويكون حديث الشخوص الآخرى حولها، فلا تطغى أي شخصية عنها[1]،فالرواية هي مراحلها الأولى كان البطل هو المحور وهو الأساس، وتأتي بقية الشخصيات عوامل مساعدة له،ربما تواصل مع أشكال القصيدة القديمة[2]، كالملاحم والسير والحكايات الخرافية.

إن الشخصية الرئيسة هي تلك الشخصية التي تستحوذ على اهتمامنا تماما، ولو فهمناها حقا، فإننا نكون غالبا قد فهمنا جوهر التجربة المطروحة في الرواية[3]، والشخصية المحورية هي شخصية من عامة الناس، تفرح وتحزن، تسعد وتشقى، وتعبر عن فكرتها ونظرتها في الحياة.

ويحدد"هينكل" خصائص الشخصيات الرئيسة في ثلاثة:

-مدى تعقيد التشخيص:نمط الشخصيات المعقدة التي ترجع افعالها وتصرفاتها إلى مجموعة متداخلة ومركبة من الدوافع والانفعالات المتناقصة، ومعنى هذا انها تمثل نماذج انسانية معقدة.

-مدى الاهتمام الذي يبدو أن إحدى الشخصيات تجسده: بناء الشخصية وطرق تقديمها على المستوى السردي، وهذه الشخصية هي التي تستأثر اهتمام السارد.

-مدى العمق الشخصي الذي يبدو أن إحدى الشخصيات تجسده بما يجعله مثار اهتمام الشخصيات الأخرى[4]وهذه الخصائص هي التي تحدد لنا الشخصية الرئيسة في النص.

[1] عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي فزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ص134.
[2] محمد علي سلامة:الشخصيات الثانوية ودورها في المعيار الروائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،ط1، 2007،ص26.
[3] زخروب هنكل: قراءة الرواية، صلاح رزق، دار غريب، د،ط،2005،ص186.
[4] محمد بوعزة: تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، مرجع سابق،ص56.

الشخصية الثانوية:

وتسمى أيضا الشخصية المساعدة، وهي تضيء الجوانب الخفية والمجهولة للشخصية الرئيسية أو تكون امينة سرها فتبوح لها بالأسرار التي يطلع عليها القارئ[1]، أي أن دورها غير أساسي بالمقارنة إلى الدور الذي تلعبه الشخصية الرئيسية ومن أهم صفاتها أنها تلائم زمان البيئة التي نعيش فيها،ومكانها وهي متقيدة به، والشخصية الثانوية توظف على نحو مانرى بأساليب عدة، فقد تكون عناصر من المجتمع تشكل السياق الإنساني باعتبارها معيارا أو مؤشرا دالا أو مثيلا أو زوجا متمما له[2].

ولعل أبرز دور للشخصية الثانوية يتمثل في أنها تعمر عالم الرواية، وهناك شخصيات ثانوية تعمل بصورة أكثر أثارة، حيث يأخذون دور المنازلين أو المنافسين للشخصيات الرئيسية، فيتفاعلون معها أو يصطدمون بها كي يكتشفوا عن جوهر العناصر الفعالة في طبيعة تلك الشخصيات الرئيسة والمقومات الحاسمة في ازماتها[3] وانطلاقا من الشخصية الثانوية يمكن الوصول إلى ما معرفة ما يدور بذهن الشخصية الرئيسة، أي أنها بمثابة وسيلة عبور تمكننا من دخول عالم هذه الشخصية الرئيسية بمعنى أن الشخصية الرئيسة لايمكن أن تكون لوحدها في العمل الروائي بل يجب أن تكون الشخصية الثانوية معها، وهما يكملان بعضهما.

الشخصية المعارضة:

وهي شخصية تمثل القوى المعارضة في النص القصصي، وتقف في طريق الشخصية الرئيسية أو الشخصية الثانوية، وتحاول قدر جهدها عرقلة مساعيها، وتعد أيضا شخصية قوية، ذات فعالية في القصة، وفي بنية حدثها، الذي يعظم شأنه كلما اشتدّ الصراع بين

[1] عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزف، مرجع سابق،ص135.
[2] روجرب هينكل، قرائة الرواية، مرجع سابق،ص200.
[3] مرجع سابق،ص192.

الشخصية الرئيسية والشخصية المعارضة وتظهر هنا قدرة الكاتب الفنية في الوصف وتصوير المشاهد التي تمثل هذا الصراع[1].

تقسيم فيليب هامون للشخصية:

ويقتصر هامون أثناء التصنيف على ثلاث فئات يرى انها تعطي الانتاج الروائي فهناك:

1-فئة الشخصيات المرجعية:

وتدخل ضمنها الشخصيات التاريخية (كنابليون في رواية دوماس) والشخصيات الأسطورية (كفينوس اوزوس) والشخصيات المجازية (كالحب والكراهية) والشخصيات الاجتماعية (كالعامل أو الفارس أو المحتال) وكل هذه الأنواع تحيل على معنى ناجز وثابت تفرضه ثقافة ما بحيث أن مقروئيتها تظل دائما رهينة بدرجة مشاركة القارئ في تلك الثقافة[2]، وهي تلعب من الناحية البنائية الملمثبت المرجعي، باحالتها على النص الكبير الذي تمثله الايدلوجيا والمستنسخات والثقافة[3].

2-فئة الشخصية الواصلة:

وتكون علامات حضور الكاتب أو القارئ أو من ينوب عنهما في النص، ويصنف هامون ضمن هده الفئة الشخصيات الناطقة باسم المؤلف والمنشدين في التراجيديا القديمة والمحاورين السقراطيين، والشخصيات المترجلة، والرواة والمؤلفين المتداخلين والرسامين والكتاب والثرثارين بسبب تدخل العناصر المشوشة أو المقنعة التي تأتي لتربك الفهم المباشر" لمعنى" هذه الشخصية[4].

[1] شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، مرجع سابق،ص46.
[2] حسين أحمد إبراهيم:.بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط2، 2009،ص217.
[3] إبراهيم عباس الرواية المغاربية، دار الرائد للكتاب الجزائر،ط1، 2005،ص353
[4] حسين بحراوي: مرجع سابق. ص277.

فئة الشخصية المتكررة:

وهان تكون الإحالة فقط ضرورية للنظام الخاص بالعمل الأدبي فالشخصيات تنسخ داخل الملفوظ منفصلة وذات طول متفاوت[1].

فمصطلح الشخصية الروائية إذن مفهوم تخيلي وهو أساس تحليل بنائها لأنها عبارة عن تركيب أبدعته مخيلة الروائي وجسدته اللغة[2].

والشخصية المتكررة ذات وظيفة تنظيمية لاحمة أساسا أي أنها علامات مقوية لذاكرة القارئ من مثل الشخصيات المبشرة بخير أو تلك التي تذيع وتؤول الدلائل...إلخ.

وتظهر هذه النماذج من الشخصيات في الحلم المنذر بوقوع حادث أو في مشاهد الاعتراف والبوح، بواسطة هذه الشخصيات يعود العمل ليستشهد بنفسه وينشئ بالخاصة[3].

الشخصية وطيدة دلالية ذات مدلول كأية علامة لغوية، فلذالك الشخصية كما يرى "فيليب هامون" :" أن الشخصية تقدم بتكفل لها وتحدد في مسرح النص من قبل دال متقطع مجموعة من العلامات يمكن أن نسميها "البطاقة" ويحدد الكاتب المميزات العامة لهذه البطاقة لاختبارات جمالية[4]، أما مدلول الشخصية كونها كلمة متقطعة ، فالشخصية هي وحدة معاني وتعتقد أن المدلول قابل للتحليل، والوصف، وما دامت كذالك فإنها لا تنمو إلا من وحدات المعنى، أنها تمنع من الجمل التي تنطقها هي أو ينطقها الآخرون.

[1] المرجع السابق،ص277.
[2] سمروحي فيصل: الرواية العربية السورية1980-1990، دراسة نقدية
[3] فيليب هامون:. سيميولوجية الشخصيات الروائية،ص124.
[4] نبيلة زوليش: تحليل الخطاب السردي في ظل المنهج السيميائي،ص173

ويلاحظ هامون أنه بإمكان أي شخصية أن تنتمي في نفس الوقت أو بالتناوب لأكثر من واحدة من هذه الفئات الثلاثة، لأن كل وحدة فيها تتميز بالتعدد وظائفها ضمن السياق الواحد[1].

الشخصية النموذجية:

وهي التي يرسمها الروائي بوصفها ممثلة لجيل أو طبقة أو فئة أو مجتمع وتبرز فيها اتجاهات ما تمثله، وسماته المميزة، وتمتاز عن الشخصية العادية بأنها تختزل سجايا الطبقة أو الفئة التي تمثلها، ويهدف الروائي منها بيان رؤيته نحو الفئة المستهدفة التي تختزل سماتها في هذه الشخصية[2].

وإن تعددت أنواع الشخصية وتقسيماتها إلا أن الشخصية المختارة من الواقع الذي يعايشه الكاتب من أشخاص عرفهم أو تعرف بهم أو تأثر بهم أثروا عليه، من خلال ما حدث أو يحدث لهم، والكاتب هو الذي يختار كيف تكون شخصياته اتكون مدورة أو مسطحة أو تكون رئيسية أو ثانوية، وهو يسيطر عليها ولا يمكن أن يفلت زمام أي شخصية من بين يديه.

فالشخصية في أي عمل إبداعي لا يمكن تحديد دورها أو أهميتها إلا مع نهاية العمل " ولا يمكن إغفال دور الشخصية في الاعمال الابداعية، فهي التي تدور حولها الأحداث، وهي التي يجري على لسانها السرد وهي التي تحمل الرموز والعلامات اللغوية الدالة على مايريد الكاتب طرحه وما يريد الناقد أن يستوعبه من النص ولو أراد أمانة الكاتب.

[1] حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي،ص127.
[2] محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث،ص534.

شخصية البطل الضد:

إذا كان النوع الأول الشخصية الرئيسية (البطل) يمثل بطل الخير الذي يبحث عنه الحق والعدل والحب، فإن النوع الثاني يمثل البطل الشرير وقد يكون من الشخصيات الأساسية أو الثانوية، أو منهما معا، ومعظم صفاته تتناقض مع صفات البطل التقليدية، ويفتقد إلى صفات النبل والسمو في الحياة العامة والخاصة ، فاسد وغبي حينا، وخادع حينا آخر، وقد يمثل الشخصية الرافضة والمرفوضة، وهذا النوع من الشخصيات في أي عمل أدبي يمثل الخط المقابل للشخصيات الخيرة، الذي يطرح الصراع ويقود دائرة الحبكة ويحرك مسيرة الأحداث.

وهذه الشخصية قد لا تكون شريرة بمعنى مطلق، لكنها تعمل على أساس أنها ند أو خصم مضاد، يقاوم الشخصية الأولى "البطل".

ومعظم الاعمال الدراسية والسردية تنهض على أساس الابطال الخيرين النبلاء يشكلون المحور الأول والاساسي والذين يقفون منهم موقفا معاكسا يشغلون فنيا المرتبة الثانية.

الشخصيات التخييلية:

ويقصد بها الشخصيات التي لا وجود تاريخي لها كالشخصيات المرجعية لكن ذالك لا يمنع اشتمالها على مواصفات واقعة، وقد يلجأ الراوي إلى خلق هذه الشخصيات يعزز موقف الشخصية المركزية، ولغايات حكائية مختلفة، أو أن ينسب فعلا إنسانيا وتفكيرا إنسانيا إلى حيوان أو طير ثم يصطنع أحداثا وحوارا وتطورا في الوظائف والسرد يتم على لسان الحيوانات[1].

الشخصيات الرؤيوية/ العجائبية:

[1] ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي المكونات والوظائف والتقنيات، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، 2003، ص190.

هذا النمط من الشخصيات في الحقيقة غير منبت عن الشخصيات المرجعية، إنما هو نوع من تحولاتها الغرائبية حين يأتي في أفعال عصبية يستحيل فيها من كينونته الحقيقية المألوفة إلى كينونة غيبية سوى في الرؤية الواقعية أم في الرؤية الحلمية، ودائما يكون هذا التحول دليل على (صدق) ودعوى الصوفي وصحة مذهبه وطريقته التي تدهش أو تذهل ليس عامة الناس فحسب بل أهل الطريقة أيضا كل بحسب مرتبته وأحواله ومقدار علمه ونوع تجربته.

الشخصيات التراثية:

فمن الموروث الديني تبرز شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من أكثر الشخصيات شيوعا وتأثيرا في الإنسان على مر العصور، ومن ثم الخلفاء الراشدون، ويرد ذكرهم من خلال ما تركوه من أحاديث وأقوال كانت بمثابة الميثاق أو الدستور الذي سار عليه المسلمون واختطفوا على أثرها سبيلهم في الحياة[1].

الشخصيات التاريخية:

تتمثل هذه الشخصيات بنماذجها العربية والاجنبية، وفي الزمنين الماضي والحاضر فمن الشخصيات العربية نذكر على سبيل المثال الأمير عبد القادر الجزائري، السلطان عبد الحميد، ومن الشخصيات الأجنبية مثلا سايكس بيكو، لينين....الخ، إن الروائي في توظيفه للشخصيات التاريخية إنما يلجأ إلى اختيار الشخصيات التي تتوافق و(طبيعة الأفكار والقضايا التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي، ومن ثم فقد انعكست طبيعة المرحلة التاريخية والحضارية التي عايشتها أمتنا في الحقبة الأخيرة، واحباط الكثير من

[1] محمد صابر عبيد، سوس البياني: جماليات التشكيل الروائي، دراسة الملحمة الروائية،(مدارات الشرق) لنبيل سليمان، عالم الكتب الحديث،2012،ص192.

أحلامها، وخيبة أملها في الكثير مما كانت تأمل فيه من خير وسيطرة بعض القوى الجائرة على بعض مقدراتها، والهزائم المتكررة حاقت بها رغم عدالة قاضيها[1].

الشخصية المتخيلة:

تنهض الشخصية المتخيلة عادة بدور بارز مهم في التشكيل الشخصاني الروائي، ونعني بها في هذا السياق تلك:" الشخصية التي لا تملك وجودا موضوعيا خارج النص، ولكنها تقوم ببعض الوظائف التاريخية والحياتية وتعمل على تسيير الوقائع (وقائع النص) والتأثير فيها وتغييرها"[2].

وهذه الشخصيات غير المستقرة وغير ثابتة بمعنى أنها متغيرة ونامية حسب المتطلبات السردية.

الشخصيات الخرافية:

تؤدي الشخصيات الخرافية دورا مهمافي الكشف عن الطبيعة التي تفكر فيها المجتمع أيضا، إذا أنها تعكس التصور الذي تتسبب به الإنسان في حال معينة من حالاته داخل فضاء السرد، وغالبا ماتتمثل هذه الشخصيات بنماذج متداولة في السياق الشعبي الاجتماعي: كالجن والغول. والحوت الخرافية

[1] المرجع السابق، ص193.
[2] المرجع السابق، ص195-196.

الشخصيات المرجعية:

وهناك شخصيات أخرى يوظفها الأديب كالشخصية الأدبية، الشخصية الصوفية ليضفي نوعا من المصداقية والتأثير في عمله وقد يكون أحد الشخوص من شخصيات الرواية متأثرا بها والشخصيات التراثية والتاريخية والمتخيلة والخرافية والأدبية وهي ذات مرجعيات تاريخية وأخرى إجتماعية، وأخرى ذات مرجعيات فكرية، والسرد قد يكتفي بالإشارة إليها مباشرة أو على ألسنة الشخصيات ولا تظهر بصورة واضحة وكل هذه الشخصيات تحيل إلى شخصيات كلها تنتمي إلى الشخصيات المرجعية.

ب- أبعاد الشخصية الفنية:

الشخصية البشرية ليست في الواقع خير كلها ولا شرا جميعها فهي مزيج من الخير والشر، فقد يكون الإنسان خيرا فيحدق به الأذى فيندفع لمواجهته بالشر، فيختفي الخير عنده إلى فترة ما، ريثما يتخلص من الأذى، وقد يكون شريرا فإذ هو يواجه موقفا إنسانيا يهتز له وسرعان ما نراه يتخلى عن الشر وينزع إلى الخير فعلى القاص إذا أن يراعي النفس البشرية، فيجعل الشخصيات تتبدل بحسب ما تقتضيه مواقف القصة[1].

ومن خلال هذا كله يحصل أن يصور في الشخصية الأبعاد الثلاثة التالية التي إتفق عليها معظم النقاد وهي:

1-**البعد الجسمي:** ويتمثل في الصفات الجسمية المختلفة من طول وقصر وبدانة ونحافة ويرسم عيوبه وهيئته وسنه وجنسه... أثر ذلك كله في سلوك الشخصية حسب الفكرة التي يحللها[2].

[1] عزيزة مريدك: القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، دت، ص28-29.
[2] عبد القادر أبو شريفة، حسن لافي قزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص133.

2- البعد الاجتماعي:

يهتم بتصوير الشخصية من حيث مركزها الاجتماعي، وثقافتها وميولها[1]،

وعقيدتها وهوايتها وبيئتها والمجتمع الخارجي المحيط بها وكل ظروفه التي يمكن أن يكون لها أثر في حياته وكذلك دينه وجنسه والوسط الذي تتحرك فيه.

3-البعد النفسي:

ويكون نتيجة للبعدين السابقين في الإستعداد والسلوك من رغبات وأمال وعزيمة وفكر، وكفاية الشخصية بالنسبة لهدفها ويشتمل أيضا مزاج الشخصية من إنفعال وهدوء أو إنطواء أو إنبساط[2]... وهذه الأبعاد كلها ترسم الشخصية الروائية.

ج- طرق تقديم الشخصية:

أولى النقاد السرديون طرق تقديم الشخصية وعرضها في النص الروائي أهمية كبيرة لما لها من دور مركزي رئيسي في تفعيل العملية السردية داخل فضاء الرواية وطبقاتها.

ونعني بها الكيفية التي يتم بها خلط الشخصيات الروائية وبناء وجودها في العمل الروائي، وقد عرف مجدي وهبة عملية الخلق هذه بأنها " منهج يقدم به المؤلف شخصية ما في القصة أو المسرحية"[3] ولكل كاتب طريقته في تقديم شخصياته.

وهناك طريقتان لتقديم الشخصية.

1-الطريقة المباشرة (أو الإخبار):

وهي التي يصور الكاتب فيها أشخاصه من الخارج، ويحلل عواطفهم ودوافعهم واحساساتهم، وكثير ما يصدر أحكامه عليهم[4]

[1] شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، مرجع سابق، ص48.
[2] عبد القادر أبو شريفة، مرجع سابق، ص133
[3] محمد صابر عبيد، مرجع سابق، ص179.
[4] محمد يوسف نجم، مرجع سابق، ص98.

فيقطع على القارئ لذة الاستنتاج ومتعة المشاركة الإنفعالية في صبر أغوار الشخصية، ويكون التشخيص (الإخبار) أيضا بعرض أفكار الشخصية فيتبنى القاص شخصا للتكلم عوضا عنه فتكون الشخصية القصصية بمثابة الناطق بلسان المؤلف، وهناك أسلوب " تيار الوعي" الذي يقوم على استجابات غير منظمة تتدعى بلغة داخلية لدى رؤية الشخصية لشيء يذكرها بشيء آخر، تتخذ الجمل ترقيما دالا، وربما تظهر الطباعة بشكل مخالف للسرد[1].

2-الطريقة غير المباشرة (التشخيص) :

وهي التي يفسح الكاتب فيها المجال للشخصية الأدبية لتعبر عن أفكارها وعواطفها وإتجاهاتها وميولها، لتكشف لنا عن حقيقتها[2].

تستخدم الشخصية ظمير المتكلم، كما أن شخصية القاص تتنحى جانبا لتفسح المجال للشخصية الأدبية لتقوم بوظيفتها الفنية بعيدا عن أية تأثيرات خارجية[3].

وهناك طريقتان أساسيتان للكشف عن الشخصية:

أ- التشخيص باستخدام الحوار: والحوار يكشف عن شخصية صاحبه وطريقة تفكيره وأسلوب تعامله مع الأشياء، وأفكاره كما أنه يكسر رتابة السرد وينبه القارئ

ب-التشخيص بتصوير الأفعال: وهذه الطريقة من أحدث الطرق لأن القارئ يحكم على الشخصية من خلال العمل، فما تفعله الشخصية القصصية أو تخفق في عمله أو ما تختار أن تفعله دلالات واضحة على نفسيتها وتركيبها العقلي والعاطفي[4].

[1] عبد القادر أبو شريفة: مرجع السابق، ص119.
[2] محمد يوسف نجم، مرجع سابق، ص198.
[3] شريبط أحمد شريبط: مرجع سابق، ص47.
[4] محمد بوعزة: تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، ط1، ص46. ينظر عبد القادر أبو شريفة، ص137.

هاتان هما الطريقتان للتصوير الشخصية ويميل معظم الكتاب المعاصرين إلى الطريقة الثانية الكشف، ولكن هذا لا يعني أن هناك طريقة واحدة مفضلة بعينها لأن دمج الأسلوبين أمر شائع، ويعتمد إختيار أي من الطريقتين على إختيارات القاص الجمالية والفكرية وظروفه ودرجة القرب أو البعد التي يريد تحقيقها من شخوصه وفلسفته في ماهية الواقع وكيفية نقل صورة الواقع إلى القارئ، ونوعية العمل القصصي نفسه ودرجة تعقيده[1].

4- أسماء الشخصيات:

يقدم اسم الشخصية دلالة أولية يمكن أن تكون مهمة إلى حد كبير، إذ أحسن الكاتب انتقائه إذ من الممكن أن يقيم الاسم علاقة مع دلالاته الروائية من خلال معناه المعجمي أو تركيبه الصوتي أو من خلال رصيده التاريخي، ويمكن للاسم أيضا أن يوحي بجزء من صفات الشخصية النفسية والجسدية[2].

وبصدد الاسم الشخصي في الرواية يؤكد الباحث ان الراوي وهو يضع أسماء شخصياته يتوخى أن تكون متناسبة و منسجمة بحيث يحقق للنص مقرؤيته وللشخصية إحتماليتها ووجودها، ومن هنا صدر التنوع والاختلاف الذي يطبع أسماء الشخصيات الروائية، وهذه المقصدية التي تضبط إختيار المؤلف لإسم الشخصية ليست دون خلفية نظرية، كما أنها لا تنفي إعتباطية العلاقة، ذلك أن الاسم الشخصي هو علامة لغوية، فهو إذن يتحدد بكونه إعتباطيا لكن الإعتباطية متغايرة ومتفاوتة[3].

ومن الواضح أنه ليس هناك ما يجبر الروائي على وضع أسماء شخصية لأبطاله، فهو بإمكانه مثلا أن يطلق عليها ألقابا مهنية (الأستاذ، المقدم) أو يعينهم بألفاظ القرابة

---

[1] محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، دراسة في نقد النقد، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص247.

[2] يوسف حطيني: مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 199، ص15.

[3] محمد عزام: مرجع سابق، ص198.

(الأب، العم، الجد...الخ) كما يكون في وسعه كذلك أن يسميهم نسبة إلى مواطن إقامتهم (التدلاوي، التطوالي، الحسناوي) بل إننا نجد في بعض الأحيان يطلق عليها أسماء صفات أو عاهات تميزهم أو تجعلهم مختلفين عن غيرهم (العرجاء، الأبله ....الخ) أو يضع لهم أسماء مجازية أبعد ما تكون في الدلالة عليهم، وأخيرا فهو ربما إستعاض عن تلك الوسائل جميعها باستعمال الضمائر النحوية المختلفة توظيفها للدلالة على الشخصيات في الرواية[1].

وفي الجملة فإن مضم المحللين البنيوين للخطاب الروائي قد أصروا على أهمية إرفاق الشخصية باسم يميزها ويعطيها بعدها الدلالي الخاص، وتعليل ذلك عندهم أن لشخصيات لا بد وأن تحمل اسما، وأن هذا الأخير هو ميزتها الأولى، لأن الاسم هو الذي يعين الشخصية ويجعلها معروفة وفردية وقد يرد الاسم الشخصي مصحوبا بلقب يميزه عن الآخرين الذين يشتركون معه في الاسم نفسه، فما يزيد في تحديد التراتب الاجتماعي للشخصية الذي تخبر عنه المعلومات حول الثروة أو درجة الفقر، بل إن المعلومات التي يقدمها الروائي عن المظهر الخارجي للشخصية وعن لباسها وطبائعها وحتى عن آرائها تأتي كلها لتدعم تلك الوحدة التي يؤثر عليها الاسم الشخصي بحيث تشكل معها شبكة من المعلومات تتكامل مع بعضها وتقود القارئ في قراءته للرواية[2].

وهناك تعليل أفضل ولربما أكثر إقناعا عن أهمية الاسم يسوقه أولئك الذين يطابقون بين الشخصية واسم العلم الذي يدل عليها مثلما فعل أيان وات، أن يدرس الطريقة الخاصة التي يعلن بها الروائي عن قصده تقديم شخصية ما على أنها فرد معين، وذلك بتسمية الشخصية بالطريقة ذاتها التي يسمى بها الفرد في الحياة الإعتيادية[3]. والتسمية من الأشياء البديهية في سياق التشكيل الروائي لنماذج الشخصيات، ذلك أن الاسم في

[1] حسن بحراوي: مرجع سابق، ص247.
[2] المرجع السابق، ص248.
[3] المرجع السابق: 248.

قوة حضوره السيميائي يقيم دلالة أولية يمكن أن تكون مهمة لحد كبير إذا أحسن الكاتب انتقاءه إذ من الممكن أن يقيم الاسم علاقته مع دلالته الروائية من خلال معناها المعجمي أو تركيبه الصوتي[1] .

5- علاقة الشخصية بالمشكلات السردية الأخرى:

ذكرنا فيما سبق بأن الشخصية عند الكتاب التقليدين قد عدت كل شيء في العمل السردي بعامة، والعامة الروائي بالخاصة، أما الحداثيون ومنهم اصحاب المدرسة الجديدة فقد حاولوا تسفيهها والإقلال من شئنها منهم: رولان بارت، تودوروف، ميشال زيرافا وغيرهم كثير، وزعموا انها لم تكن إلا كائنا ورقيا، وبأنها لا تساوي أكثر مما تساوي العناصر السردية الأخرى كاللغة والحيّز و الزمان والحدث... أنها لديهم لا تعدوا أن تكون كائنا مصنوعا من الخيال[2].

لكن رغم انهم اصابوا في نظرتهم، إلا أنه يمكن القول أن الشخصية على ورقتيها في العمل السردي تمثل أهمية قصوى في هذا الجنس الأدبي، فهي على اساسيتها توجد في كل الأجناس الأدبية، فالشخصية هي الشيء الذي تتميز به الاعمال السردية عن الأجناس الأدبية الأخرى، ولو ذهبت من أي قصة قصيرة لصنفت ربما في جنس المقالة.

أن الشخصية هي التي تكون واسطة العقد بين جميع المشكلات الأخرى، حيث انها هي التي تصنع اللغة، وهي التي تبث أو تستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المفاجئة، وهي التي تصنف المناظر إذا كانت الرواية رفيعة المستوى من حيث تقنياتها، فان الوصف نفسه لا يتدخل فيه الكاتب بل يترك لاحدى شخصياته انجازا...وهي التي تنجز الحدث، وهي التي تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال سلوكه

[1] محمد صابر عبيد: سوسن بياتي: جماليات التشكيل الروائي، ص 172.
[2] عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، ص 90.

واهوائه وعواطفها، وهي التي تقع عليها المصائب، وهي التي تتحمل كل العقد والشرور وأنواع الحقد واللؤم فتنوء بها، ولا تشكو منها، وهي التي تعمر المكان وتملئ الوجود صياحا وضجيجا وتتفاعل مع الزمن فتمنحه معنى جديد وهي التي تتكيف مع التعامل مع هذا الزمن في أهم اطرافه الثلاثة: الماضي، الحاضر، المستقبل[1] .

لا أحد من المكونات السردية الأخرى لا يقتدر على ما تقتدر عليه الشخصية، فاللغة وحدها تستحيل إلى سمات خرساء فجاة لا تكاد تحمل شيئا من الحياة.

والجمال والحدث وحده في غياب الشخصية يستحيل أن يوجد في معزل عنها لأن الشخصية هي التي توجد وتنهض به نهوضا عجيبا والحيّز يخمد ويخرس إذا لم تسكنه هذه الكائنات الورقية العجيبة (الشخصية).

[1] عبد المالك مرتاض، مرجع نفسه، ص 91.

الفصل الثاني: بنية الشخصية في رواية أيام قبل سقوط منذر المدفعي والعلاقة بينها.

توطئة

1. الراوي
2. الشخصيات المحورية (الرئيسة).
3. الشخصيات المساعدة (الثانوية).
4. الشخصيات غير العاملة.
5. علاقة الشخصيات فيما بينها.

توطئة:

تعتبر الشخصية مكونا أساسيا من مكونات الرواية القديمة والحديثة، إذ لا يمكن تصور رواية من دون شخصيات ومن ثم كان التشخيص هو محور التجربة الروائية وتصبح الشخصية الروائية فردا شخصا أي كائنا انسانا.

وبهذا تحمل الشخصية الروائية ما تحمله الشخصية الواقعية في الواقع من مشاكل وهموم، وأفراح، وأحزان، وأفكار ومبادئ، فالروائي هو الذي يتحكم بشخصياته، وهذا الأخير يستمد شخصياته من الناس الذين يقابلهم في حياته أو ممن يقرأ عنهم أو يسمع عنهم، ثم يضيف إلى الشخصية من خياله ما يسد به الفجوات لتظهر الشخصية اقرب ما تكون إلى عالم الحقيقة والواقع وعلى هذا الأساس بنى الروائي منذر المدفعي[1]* شخصياته في رواية أيام قبل السقوط.

تتحدث رواية أيام قبل السقوط عن الحصار الذي كانت تطبقه امريكا على العراق بسبب الاسلحة النووية المتطورة التي كانت بحوزة العراق أو صدام كما تدعي امريكا وعلى الرغم من لجان التفتيش التي ارسلت للعراق والتي قالت بأن العراق لا يحتوي على اسلحة متطورة ولكن القصف حدث ولم يترك القصف أي شيء لا قصر صدام ولا بيتا ولا كوخا صغيرا وكيف صور الكاتب نهاية القصف، في ظل هذه الأحداث تتحرك شخصيات الرواية، وفي خضم هذه الأحداث وما يعترضها من مواقف وصدامات بسبب الحصار والحرب وموقف الشخصيات من هذه الحرب بين خائف ومرتاب وبين رافض له ورافض أن يكون وليمة لهذه الحرب.

ومن هذه الأحداث والأقوال يتقلب ناجي بطل هذه الرواية في هذه الدائرة المفرغة جاءت الرواية في 304 صفحة وجاءت في 24 باب وقد تضمنت مجموعة

[1] منذر المدفعي: روائي عراقي، كاتب رواية أيام قبل السقوط، كتبها سنة 2009، طبعت سنة 2013.

من الشخصيات، منها ناجي، ورود، أبو ناجي عصام، وأم ناجي، صديق ناجي أحمد، أبو أحمد الحاج عباس، وأمه، عبد العظيم، سعدون، أبو ورود جبار، ستار، النقيب هادي، الملازم أول محمد، العقيد ركن عبد الوهاب البراق، الملازم أول أحمد، حمزة، عدنان، زياد.

وقسم هذه الشخصيات إلى شخصيات محورية رئيسة وشخصيات ثانوية مساعدة فمثلا ناجي الشخصية المحورية أما البقية فهي شخصيات ثانوية، مثل الأب، الأم، ورود صديقة ناجي، رفاقه حمزة، عدنان، زياد.

أما ما نلاحظه عن الشخصيات فأغلب الشخصيات شابة تعاني الفقر والحرمان وتبحث عن مخرج قد تكون الهجزة ربما، ولكن للحصار والحرب اضاف إلى احزانهم أحزنا وبؤسا وأسى فأين الخلاص يا ترى وهل ستتحقق احلامهم وأمانيهم في عودة العراق كما كان؟.

1- الراوي: هو الذي يسرد الاحداث في الرواية قد يكون هو الكاتب في حد نفسه وقد اعتبرناه راوي عليم، وطريقة سرد الأحداث طريقة مباشرة فالراوي في رواية أيام قبل السقوط هو العليم بأحوال الشخصيات وبالأحداث في الرواية، من البداية إلى النهاية، وهو الذي يخبرنا عن احوال الشخصيات وأخبارهم، وهو الذي تكفل بوصف شخصياته، من كل الابعاد الجسمية والنفسية والاجتماعية، ووصف الأوضاع كلها ووصف الراوي الأوضاع السياسية الراهنة، "فتكلموا عن السياسة المسموح بها، التهديدات الأمريكية وخطاب بوش الأخير الذي هدد به الحكومة العراقية مطالبا اياها بالتنحي، بعدما قرر مطاردة المتورطين بأحداث الحادي عشر من سبتمبر ... وكيف رد صدام حسين هو الآخر بخطاب رسمي استمر لأكثر من ساعة استعرض فيه

تاريخ العراق النضالي ومراحل صموده كما تطرق أيضا لتاريخ امريكا الدموي، وكيف قضت عصابات رعاة البقر على قبائل الهنود الحمر، سكان أمريكا الأصليين"[1].

وصف الروائي المواجهة الكلامية بين الحكومتين العراقية والأمريكية، "تستمر المعارك الكلامية على الشاشات الصغير فهذا يصرح وذاك يندد، بوش يصر على تغيير النظام في العراق وصدام لا يحفل به وينعته بالأرعن، وساطات دولية لتهدئة التوترات بين البلدين لكن الأمواج تسكن قليلا وتثور من جديد بنبرات أقسى واعنف.

وفي إحدى الليالي ظهر صدام حسين على التلفاز جالسا على كرسي فخم ومرتديا زيه العربي واضعا عباءة سوداء على كتفيه وقال من دون مقدمات:

أنا أتحدى بوش الصغير وادعوه للمبارزة، ليأتي إلى هنا ولنتبارز بالسيف نحن الاثنان وسنرى من سيغلب.

لكن بوش لا يستبعد المواجهة فهو يفكر بحملة كبيرة، يفكر بجيوش جرارة بدلا من المبارزة الفردية.

انتهت مرحلة الوساطة ...

لم تنفع التنازلات التي قدمها صدام بعدما اتلف أسلحته وسمح للجان التفتيش بالولوج في الأماكن التي لم يطأها أحد غيره.

لم يرغب العراق بالحرب ولم يرضا بوش بالسلام"[2].

يرى الروائي أنه برغم التنازلات التي قدمها صدام لكنه لم يستطع أن ينقذ بلده من حرب محتومة وبأنه يستخف بعدوه امريكا حينما يطلب من بوش أن يقوم

[1] منذر المدفعي، أيام قبل السقوط، رواية من وحي المجتمع العراقي، دار تيمقاد للنشر، سيدي بلعباس، ط1 ، 2013، ص67.
[2] الرواية، ص83.

بالمبارزة معه فهل كان صدام لا يعرف حجم العدو المنتظر وبما أنه يثق ثقة عمياء بإمكانياته.

تحدث الروائي عن حياة الجنود داخل المعسكر وكيف كان يفعل ستار بهم، وكيف كان يزرع الرعب فيهم لأنه كان شديدا عليهم "خرج الجنود مهرولين نحو ساحة العرضات قبل أن يثيرو غضب رئيس العرفاء الذي كان يتوجه بخطى سريعة تشبه الهرولة نحو قاعات منام الجنود ويضرب الأبواب الحديدية بعصا التبختر السوداء، فيتراكض الجميع للخارج متلاطمين ببعضهم البعض عند الاقتراب من الباب الحديدية الضيقة التي أكل الصدأ جانبها السفلي تاركا الرماد المعدني الأحمر متجمعا تحتها، وحينما يفتحوها للخروج من القاعة تصدر صوتا يضرب طبلة الأذن بقسوة وهي تحتك بالأرضية الاسمنتية مخلفة قوسا محفورا تحتها على الارض"[1]، فقد كانت الظروف في المعسكر قاسية جدا عليهم.

يصف الروائي مرارة أيام الخدمة العسكرية، وقد صوره ربما في مكر ستار الذي كان يوقضهم كل صباح وقسوة المكان وصعوبة العيش فليه.

وها هو ذا نراه في هذه المرة يصف هول القصف الأمريكي "اهتزت الأرض اهتزازا، زلزلت زلزالا، تساقطت القنابل كالمطر لكنها لم تسق الأرض كالغيث وإنما حرثتها حرثا فقلبت عاليها سافلها، انطلقت القنابل من مقاومات الطائرات كالسهام الحارقة، كالشهب المضيئة، وسط ظلمة الليل الداكنة بحثا عن طريدتها في السماء"[2].

صور الدهشة التي اعتلت وجوه المواطنين حين رأوا الجنود الأمريكيين في الشوارع عرفوا أن القصف قد انتهى وكيف استقبلهم السكان "سلم سكان الحي على

[1] منذر الرافعي: أيام قبل السقوط، ص83.
[2] الرواية: ص269.

الجنود وصافحوهم بل هنالك حتى من عانقهم وأشبعهم تقبيلا !!!"[1]، لكن أمريكا لم تأتي من أجل تخليصهم من صدام ولا من أجل الأسلحة المتطورة بل جاءت من أجل كعبتها (النفط) تلك الكعبة التي أتوها حاجين محتسبين محلقين رؤوسهم، وقطعوا في سبيلها الصحاري التي لم تطأها قدم بشر من قبل، والمحيطات المهولة التي لم يفكر أحد أن يبحر فيها، هذا ما جعل امريكا تخترع السبب تلو الآخر من أجل الوصول إليه، وقد حمل الكاتب صدام حسين السبب في احتلالهم وتشريدهم وتجويعهم وقتل ابنائهم وآبائهم، فالراوي في هذه الرواية هو عليم بكل ما يحدث في عالم روايته في احداثها وشخصياتها وما يختلج شخصياتها، ولا ننسى بأن هذه الرواية واقعية تتحدث عن فترة عاشتها العراق.

2- الشخصيات المحورية (الرئيسة):

ناجي: شاب جامعي عراقي من عائلة فقيرة "نحن بالكاد نجد ما نسد به رمقنا وكأن الحصار لا ينتهي"[2]، كان شابا بسيطا تخرج من كلية الفنون الجميلة فقد كان يدرس الرسم، وأغلب رسوماته كانت النخيل وهو يحبها كثيرا وهو شاب لم يدخل في أي شيء يهز احترامه واحترام عائلته المتكونة من الأب والأم، وأخوه الاصغر هاته العائلة التي تحترم القانون وتطبقه "لم يكن ناجي من أولائك الذين يتورطون مع الحكومة... أو من الذي يفكرون بذلك، فقد تربى بمنزل لا يفكر بمخالفة القانون أو انتقاد الحكومة أو الاعتداء على رموزها، لم تكن عائلته تبحث عن الغنى والمال وإنما مجرد الحياة الهادئة المطمئنة، وعندما بدأت حملة الايمائية في أعوام التسعينات وأصدر صدام حسين قرارا بمنع بيع وشراء المشروبات الكحولية تم إغلاق الحانات، لم يتردد والده حينها بترك الخمر على الرغم من أن كل الاطباء نصحوه

[1] الرواية : ص 294.
[2] الرواية: ص40.

بضرورة التوقف عن شرب الخمر لكنه لم يمتثل لهم وادعى حينها أنه لا يستطيع مواصلة الحياة من دون كحول، لكن بعدما أصبح القرار حكوميا امتثل له دون أي تأخير"[1]، ناجي كان فتى بسيط ومسالم لا يسمع صوته إلا قليلا وهو قد احب فتاة عندما كان يدرس في الجامعة اسمها وردة كانت تدرس المسرح والتمثيل "كان مشغوفا بحبها حد الكفر بكل شيء إلا هي"[2]، التقيا في الجامعة وتسامرا وتحدثا والتقيا في السينما كان حبهما جميلا يود خطبتها بعد نهاية دراسته وكانا يضنان بأن كل شيء سيكون سهلا وستذلل الصعاب امامهما " كانا يتصوران بأن كل شيء سيكون سهلا وستذلل الصعاب امامهما كما تذللت في السابق لغيرهم من المحبين، وستنحني العقبات امام جلالة حبهما ليمرا من فوقها يدا بيد كمرور الغيوم البيضاء في سماء بغداد، وتعاهدا على البقاء سوية مهما حدث"[3]، غابت وردة فجأة ولم تعد تأتي إلى الكلية انتظرها ناجي كثيرا ولم تأتي مقت ناجي الكلية وأحس بالوحدة بالرغم من أن لديه اصدقائه لكن وردة انسته الجميع وقد أصيب بالملل والخمول وفقد شهيته وأحس به جميع من في البيت، وبعد أسابيع أتت وردة إلى الجامعة، فأخبرته سنتزوج وطلبت منه أن يأتي لخطبتها فوافق على الفور دون تفكير، وعاد إلى البيت وطلب من أبيه أن يأتي لخطبتها معه، لكن والده رفض لفارق الأحوال الاجتماعية بينهما وقد اعتبر بأن الأمر مقضي، فقد قرر تزويجها، لبس ناجي بدلة جديدة وقرر أن يذهب إلى عمه عبد العظيم ليطلب منه مرافقة من أجل خطبة ورود، فنذهب معه لأنه أحس به، لأن عمه مر بموقف مشابه لموقف ناجي فقرر أن لا يتزوج أبدا طوال حياته لأنه أحب فتاة فرفض أبوه خطبتها له فرفض أن يتزوج من أخرى نكاية في والده، وقبل أن يتوجها إلى بيت العروس اصطحبه معه إلى مطعم مقابل نهر دجلة للعشاء ، فبهر ناجي لجمال ما رأى وتسائل لماذا لم آتي إلى هذه المنطقة

[1] الرواية: ص49.
[2] الرواية: ص26.
[3] الرواية، ص27.

وأرسم النهر وما يحيط به؟ وبعد العشاء توجها إلى بيت ورود بهرا بما شاهداه من فخامة وترف وعندما قابلهم أبو ورود وعرضوا عليه مطلبهم رفض أبوها لأنه يرغب في تزويج وردة من ابن صديقه فاسودت الدنيا في وجه ناجي وعلت الكآبة وجهه "عاد ناجي من جديد إلى الأفكار التي عصفت برأسه والخوف من الغد...ذلك الواقع الذي سيعيشه وحيدا بدون ورود... لكن مالي بدأت منذ اللحظة أتنصل من حبي الذي بنيت عليه كل الأحلام وأمسيت أسميه بالجرح؟ أهكذا هو الحب؟ !.

أهو قابل للتمسخ خلال لحظات ليتحول من شعور سرمدي جميل إلى جرح نازف؟ من سعادة ونعيم إلى تعاسة وجحيم؟"[1]، من عمق جرحه، وأساه خرج لنا تعريفا للحب، ربما من عمق مأساته هو، وقد يكون تعريفا للحب بصفة عامة، لا يشمله هو فحسب، استقبل ناجي الرفض بقلب جريح يعاني الخذلان ويرسف تحت أغلال الفقر والطبقية.

أنهى دراسة الجامعة بدون أي أمل في الغد، في المستقبل، "بقي الشعور بالخيبة يرافق ناجي الذي أكمل دراسته الجامعية من دون أمل في الغد، تدهور مستواه الدراسي بعدما كان من ألمع الطلاب، كان يسعى لنيل شهادة الماجيسير لكنه ترك ذلك الطموح وأصبح كل همه هو إنهاء الدراسة والتوجه للعمل كي لا يبقى فقيرا بين الأغنياء[2]، ضاعت أحلام ناجي وأصبحت كالسراب اكتفى بالبكالوريوس مثلت تجربة ورود نقطة تحول في حياته، انتكاسة نفسية فتغير فيه كل شيء كره حياته كره الفقر كره الرسم، وبعد انتهاء دراسته توجه ناجي لأداء الخدمة العسكرية أصبحت ورود مجرد ذكرى في حياته يراها في بطاقات السينما التي كانت مخبأة بين طيات الكتب،

[1] الرواية، ص79.
[2] الرواية ، ص 81.

ويسمع أنفاسها في سماعات الهاتف، كان ناجي في معسكر أبو غريب في الضاحية الشمالية الغربية لبغداد حيث لا يوجد هنالك غير الرمال الساخنة"[1].

خلال الإجازة التقى بصديقه أحمد ورجاه أن يعود إلى الخدمة العسكرية وأن يخرج من عزلته ولكن أحمد رفض أن يعود إلى الخدمة العسكرية وفضل عزلته إلى الخدمة العسكرية وبعد انتهاء إجازة ناجي عاد إلى المعسكر، كان معسكره منعزل قريب من بغداد ذهب ناجي من دون أي رغبة في الذهاب وكأنه ذاهب إلى سجن "كم مرة ذهب ناجي إلى ذلك المعسكر من دون الرغبة بالوصول وبالرغم من ذلك فقد كان يتجه مسرعا نحو بقعة لا يشعر تجاهها بأي اشتياق.

وقلبه يحدثه بالرجوع، نفسه تعزيه بالعودة، أما عقله فيحفزه على الصبر حتى النهاية..."[2].

وعندما دخل إلى الغرفة في المعسكر أخبره أصدقائه بأنهم أخرجوا كل محتويات المعسكر لإخلائه بسبب القصف الذي تطبقه أمريكا على العراق قرر تغيير المعسكر لأنه مكشوف والحرب قادمة لا محالة، فشعر ناجي بالخوف من القادم، وقد كان أقصى ما يخيفهم هو ستار، لأنه يسلط عليهم أقصى العقوبات لاتفه الأسباب، في أحد الليالي طلب منهم ستار أن يناموا ملقبا أياهم بالقشامر*، فرد عليه زياد أخرس أنت يا ستار القشمر... سمع ستار الكلمة لكنه لم يعرف قائلها لأنه كان في غرفته ويسمع إلى المذياع، فاشتد غضبه وطلب منهم أن يخبروه من القائل ولكنهم لم يفعلوا فأنزل عليهم العقاب "تكلم ستار من جديد بنبرة أكثر هدوء أنه فرد من بينكم...أنا لا أدري من يكون ...وبما أنكم لا تريدون قول اسمه ...فسأعاقب الجميع..."[3]أمشاهم

[1] الرواية، ص94.
[2] الرواية، ص101.
* القشامر بمعنى حمقى.
[3] الرواية، ص124.

القرفصاء في الليل ثم الجري في الساحة ولما أخذ منهم التعب كل ما أخذ أمرهم أن يجروا وراء الكلب ويحضروه له هذا الكلب مر فجأة ولما سمع وقع أقدامهم فر بسرعة ولم يستطيعوا إمساكه ثم أمرهم إبرك انهض لأكثر من ساعة ولم ينقذهم إلا النقيب هادي من هذا العقاب الشديد أمره بأن يتركهم ليناموا..

بدأ الخوف يسكن قلب ناجي من هذه الحرب القادمة التي لا ناقة له فيها ولا جمل يحاول الهروب لكنه يتراجع وأحس بأن الحرب قد اقتربت، بدأ ناجي يشعر بالحنين لهذا المعسكر بعدما أدرك أن لحظة الإخلاء أصبحت قريبة ومؤكدة، فعلى الرغم من أنه قضى فيه ساعات وأيام مؤلمة وعصيبة لكنه في النهاية تآلف معه، مع الجدران التي كان يختبئ خلفها كي لا يراه رئيس العرفاء ويكلفه بمهمة جديدة، تآلف مع السرير الحديدي الذي يصدر صريرا حادا كلما تحرك "[1]دقت ساعة الرحيل من المعسكر زاد الخوف في النفوس الخوف من الآتي "كان خائفا من الغد...لكن خوفه كان مقتصرا على سؤال بسيط :(هل سيجد ما يأكله في يوم غد أم لا؟) لم يخشى الموت في يوم ما، ولم تكن حياته في خطر، كان فقيرا لكنه آمنا مطمئنا"[2].

غادروا المعسكر في منتصف الليل واستقروا في مزرعة وبنا كل واحد خندقه للاحتماء فيه عند القصف، ومنذ وصل ناجي ورفاقه إلى المزرعة غادر أغلب سكان الحي منازلهم، لأنه أصبح مكان مستهدف من قبل الطائرات الأمريكية، رأى ناجي ما حدث بالعراق خلت الشوارع والمحلات والمقاهي من السكان فهلع لهول ما رأى كان ناجي يمقت الحرب ويمقت التغرب وكان يطمح في أن يكون رساما مشهورا "لم أشعر يوما بالحاجة لتغيير مكاني أو لهجرة المنزل الذي ولدت فيه، لكن أن اردت تعرف أمنيتي الحقيقية هي أن أواصل مشواري في عالم الرسم وأفلح في إقامة معرض ناجح وأن أصبح رساما مشهورا، ولا بأس أن تصيبني الشهرة بعد وفاتي، فأنا لا استعجل

[1]الرواية، ص147.
[2] الرواية ، ص151.

النجاح وإن كان مقدرا لي أن تصبح لوحاتي ناجحة بعدما أموت فذلك يعني أنني سأعيش بعد وفاتي حياة جديدة أطول من حياتي الفعلية.

ولكن هاهي الأيام تضيع وأنا غير قادر على إنجاز أي شيء ولو بسيط مما أحلم به"[1].

كان حلم ناجي بسيط ولو كان في ظروف عادية لاستطاع تنفيذه، ولكن في ظروف ناجي حتى الأحلام البسيطة قد لا تتحقق.

بدأ القصف وتساقطت القنابل والصواريخ في كل مكان على رؤوس الفقراء والأغنياء ومن ثم سقطت القنابل على المزرعة قتل الجميع جميع من في المزرعة ما عدا ناجي فكما يقال لكل من اسمه نصيب (فمعنى اسم ناجي هو النجاة) "نعم على موقعنا ودكونا دكا...أين بقية رفاقي؟ أين ذهبوا؟ !!، لم ينجوا أحد يا الهي، كلا يا إلهي أين رفاقي؟"[2].

نجى ناجي وحده من القصف الذي لم يبقي على أحد من رفاقه أو من الضباط أو العرفاء ولقد كتب عمه له وصية بأن يهب كل املاكه وأمواله إليه، وبأنه وريثه ويتصرف بأمواله كيفما شاء"[3]، لقد نجى ناجي من الحرب وورث مالا كثيرا.

لم يتطرق الراوي إلى وصف شخصية ناجي من ناحية البعد الجسمي وحتى لم يذكر عمره وكأن الراوي يقول بأن هذه الصفات يجتمع عليها جيل كامل أعيته الحروب وأعياه الفقر وكأنه ترفع عن وصف البعد الجسمي لشخصيته لأن عظمة القضية التي كان يطرحها ابعد من أن يتوقف عند الوصف الجسمي وشخصية ناجي

[1] الرواية، ص208.
[2] الرواية، ص 291.
[3] الرواية ، ص 301.

شخصية إيجابية في مواقفها وفي أفعالها وهذه الشخصية أثرت فينا وأثارت فينا الدهشة والاستغراب، لعظمة شخصيته.

3- الشخصيات المساعدة (الثانوية):

يأتي بها الكاتب القصص لتلقي الضوء على تصرفاته الشخصية الرئيسية لكي تبدوا تصرفاته معقولة، وسلوكاتها قابلة للتصديق وهكذا يتوقف عدد الشخصيات الثانوية في الرواية على أهمية الجوانب الذي يريد الكاتب كشفها من شخصية البطل[1].

تعددت الشخصيات الثانوية في رواية أيام قبل السقوط نظرا لأن البطل عاش في محيطين محيط البيت والجامعة ومحيط المعسكر، نبدأ بالمحيط الأول البيت والجامعة.

1- ورود: شابة عراقية طالبة جامعية من عائلة غنية كانت تدرس التمثيل والمسرح التقت بناجي في الجامعة فأحبته كثيرا وعندما اكتشف والدها علاقتها بناجي منعها من الذهاب إلى الجامعة. "لكن ورود منعت من الذهاب إلى الكلية عندما اكتشف والدها علاقتها بناجي... انتظرها ناجي عند المدخل حيث كانا يدرسان غالبا في الحديقة الجانبية لكنها لم تأتي"[2]. وعندما عادت إلى الجامعة، انقلبت حالتها رأسا على عقب "نظرت ورود إلى ناجي والدموع تترجرج في عينها، حبيسة الأحداق من دون أن تنساب على خديها الناعمين الذين التصقا على كفيها من شدة الحزن الذي ألم بها في الأسابيع الأخيرة تغير وجهها البيضوي إلى مثلث مستدق عند فكها الأسفل وغارتا تلكما الخدود التي كانتا شبه منتفختين كتفاحتين يانعتين"[3] أتت ورود

---

[1] محمد عبد الغني الم صري ومجد محمد الباكير البرازي : تحليل النص الأدبي بين النظرية و التطبيق، ص109.

[2] الرواية، ص27.

[3] الرواية، ص29.

لتخبره بأن والدها اتفق مع صديقه على تزويج ابنته ورود من ابنه المهندس ولتطلب منه أن يأتي لخطبتها فوافق على الفور على أن يأتي في الليل ليخطبها، فرحت ورود لما قاله ناجي لها "زيارة ناجي المنتظرة أوقدت في قلبها نور الأمل الذي تنتظره وبعثت في روحها ضياء النجاة التي تتمناها، فهي تصارع أمواجا عاتية تتلاطم على بابها الهش والغريق يتعلق بقشة"[1]. عندما ذهب ناجي مع عمه عبد العظيم لخطبتها –ذهب عمه معه لأن والده رفض الذهاب معه– رفض والد ورود تزويج ابنته لناجي لأنه يرغب في تزويجها من إبن صديقه الغني، وليس من ناجي الفقير والطالب الجامعي تزوجت ورود من عماد الثري، ولكن قلبها بقي مع ناجي، ربما كانت تسلي نفسها بالاستماع إلى صوته في الهاتف فقط.

قدم الراوي لنا شخصية ورود بأنها شخصية مغلوب على أمرها فوالدها هو الذي يتحكم في حياتها وبأنها اسيرة الغنى والمال، اسيرة نظرة اجتماعية طبقية، لذلك تزوجت من فتى من نفس طبقتها متجاهلين قلبها، والكاتب لم يقدم لنا صفاتها الجسمية ربما ليظهر لنا بأن صفاتها تتقاسمها مع جميع بنات جيلها، أو بنات طبقتها.

2– أبو ناجي (عصام): كهل يعمل في النجارة لإعالة ولديه ناجي وفادي، وزوجته، "مرتديا كوفية بيضاء على رأسه وجلابية رمادية فتحت أزرارها لتكشف عن صدر مغطى بشعر اشيب يصعد حتى اسفل الرقبة التي أصابها الهزل في السنين الأخيرة كأول مظهر من مظاهر الشيخوخة، لكنه بقي يحلق ذقنه بالموس كعادته في أيام الشباب وعندما نبت الشعر الأبيض على ذقنه أصبح مجبرا على مواصلة حلاقة الذقن يوميا هاربا من مظاهر الشيخوخة ولما وصل الشيب إلى شاربيه أصيب بحيرة

[1] الرواية، ص30.

من أمره فماذا يفعل أمام هذه المحنة؟"[1] بدأت مظاهر الشيخوخة تظهر عليه ولكنه لا يزال يشتغل من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ولم يسترح بعد، رفض الذهاب مع ناجي لخطبة ورود لأنه يعرف الرد مسبقا فمن يزوج ابنته من فتى مازال يدرس في الجامعة، ولا يعمل وهو فقير ولا يزال يعتمد على ابيه في مصروفه "هل يعلمون ماذا نأكل يوميا؟

هل يعلمون الليالي التي بتناها ونحن خميصوا البطون؟"[2] عندما حل القصف بالعراق بقي عصام في بيته ورفض الذهاب إلى الملجأ لكن عندما جاء سهره أقنعه بالذهاب "تأفف عصام كالمغلوب على أمره وتوجه نحو غرفته بحثا عن عبائته"[3]، وعندما انتهت الحرب عاد إلى بيته، "أغلق باب المنزل ورائه وهو يقول لزوجته:

– هل انتهت الحرب فعلا ؟ !.

– لا ادري لا ادري لكن يبدوا انها انتهت لو كان الأمر كذلك فأين ابننا ناجي إذن ! لماذا لم يرجع بعد؟.

– سيرجع يا أبا ناجي...سيعود قلبي يحدثني بأنه سيعود"[4]، دهش عصام وهو يرى أغلب سكان الحي يهللون ويهنئون بعضهم بعضا لسقوط النظام وانتهاء الحرب، وهو لم يتوقع أن يرى جنديا أمريكيا يسير منتصرا في الشوارع، فهو يمقت الحرب ويمقت المحتلين.

عصام شخصية عراقية تشبه آلاف العراقيين الذين هم في سنه وما زالوا يكدون ويشقون لإطعام ابنائه ولا يمكننا أن ننتقد موقف عصام عندما رفض ناجي الذهاب

[1] الرواية، ص32
[2] الرواية، ص66.
[3] الرواية، ص275.
[4] الرواية، ص296.

مع ناجي عندما طلب منه أن يذهبا لخطبة ورود فقد يكون معه حق، وهذا لا ينفي حبه لابنه فهو يبحث عن مصلحته.

3- أم ناجي (زكية): امرأة عراقية لا تزال تعمل بالرغم من مرضها "تذكر منظر امه التي تبقى ساهرة حتى الساعة الثالثة بعد انتصاف الليل بانتظار عودة المياه إلى الحنفيات وتبدأ بملأ الاواني الكبيرة والجرادل لتنتفع من ذلك الماء في الغد بعدما يشح طوال النهار، ومن ثمة تبقى تغسل الثياب حتى الرابعة والنصف صباحا، وفي اليوم التالي تظل طوال النهار تعاني من صداع الشقيقة الذي لازمها منذ سنين بسبب تلك السهرات الطارئة[1]"، هذا ما يفعله الفقر بالعائلات العراقية، السهر والتعب والشقاء...(أمي تركت مهنة الخياطة بعدما أظلمت عيناها، وأصبحت غير قادرة على لضم الأبرة، وبدلا من أن تغرس الإبرة في القماش تغرسها في أحد أصابعها...)[2]،

وهي لا تنفك تدعو لناجي لكي يعود إليها سالما من هذه الحروب البغيضة، "يارب ليس لي أحد ألجأ إليه غيرك، وحتى ولو فعلت لن ينفعني أحد غيرك في هذه المصيبة، أنقذ ولدي...يارب وأحمه من هذه النيران[3]"، شعرت أنها في بيتها مطمئنة أو في ملجأ، أما ولدها فلا تعرف عنه شيئا، هل هو بخير أم هل هو في القصف ماذا يحدث هناك.

4-عم ناجي عبد العظيم: رجل يعيش على أثار الماضي، كان يعمل مديرا لأحد البنوك، ولكنه أحيل على التقاعد، منذ سنوات عندما كان شابا أحب فتاة ولكن والده رفض أن يخطبها له فأقسم أن لا يتزوج أبدا " لم يتزوج عبد العظيم بعد وفاة والده، نسي حياته الخاصة وتمسك بعمله وأكمل دراسة الماجستير، ثم الدكتوراه في القانون ليصبح من كبار المستشارين القانونيين في البلد، وأصبح مديرا لدائرة الضرائب

[1] الرواية، ص64.
[2] الرواية، ص66.
[3] الرواية، ص277.

العامة، وجنى من منصبه مالا وفيرا، واشترى سيارة فارهة ومنزلا كبيرا ولكن ذلك لم يدفعه إلى تغيير أفكاره، والتفكير بإتخاذ زوجة له، وارتضى بحياة الوحدة التي تتخللها من وقت لآخر زيارة الأهل والأصدقاء أو أسفاره للخارج يرفه عن نفسه"[1].

وأتخذ له صديقا يعمل عنده وأعطاه غرفة في بيته، فأصبح صديقه ومؤنسه أنه العم سعدون، عندما رفض عصام أن يذهب مع ابنه ناجي، ذهب ناجي إلى عمه عبد العظيم فطلب منه أن يذهب معه فوافق على الذهاب معه لخطبة ورود، وهو الرجل الحكيم صاحب الكلام السلس وطلاقة اللسان وبلاغة اللغة ولكن أب ورود رفض، فواصل عبد العظيم في دعم ناجي والرفع من معنوياته وأخبره أن ينسى ورود ويفكر في أحرى فالحب لا يتوقف عند امرأة فالذي أحب مرة قد يحب مرات.

" اسمع يا بني: من قال لك أني لم أحب غير مرة واحدة؟ لقد أحببت مرة واحدة بعنف ولم أفلح في ذلك الحب، وبعدها أحببت مرات ومرات بهدوء ومن دون كلام.

أحببت مع نفسي لأشغل فراغي... ولا تتصور أني عزفت عن الزواج لأني عجزت عن نسيان تلك الفتاة التي أحببتها في شبابي، كلا، كان اضرابي عن الزواج هو موقف اتخذته من والدي....، نعم جدك الذي منعني من الزواج في ذلك اليوم، هو الذي سبب لي كل الليالي الحالكة التي عشتها من بعده"[2].نصحه بأن يبقى متفائلا وألا يفقد الأمل وأن لا يتشائم، وبعد حادثة ناجي زادت عزلته وأصبح لا يخرج من المنزل أبدا وأصبح يكثر من التدخين ولا ينام أبدا، وعندما خرج مرة دهش لهول ما رأى أغلقت المحلات والمقاهي خلت الشوارع من الأطفال، والأسواق خلت من المشترين وحتى الباعة، ووجد الناس يخبئون المئونة تحسبا للحرب، وسرعان ما عاد إلى عزلته، إلى دفاتره وكتبه، تغير كل شيء واقتربت الحرب وهاهي خطابات صدام

[1] الرواية، ص46.
[2] الرواية، ص77.

تتوالى "أرأيت يا سعدون كم تغير صدام خلال يومين؟ ! لقد كبر عشرة أعوام خلال يومين فقط !!! رفع سعدون حاجبه وهو يقول بصوت ثابت:

– كلا يا سيدي، قل إنطلت عليك الخدعة ؟.

– عن أية خدعة تتكلم؟ !

– إنه ليس صدام إنه الشبيه.

– كم انت احمق يا سعدون عن أي شبيه تتكلم؟ .!

ومن يجازف ويلعب دور غيره في ايم عصيبة كهذه؟ حتى صدام أسماها الحواسم لشدتها عليه..."[1].

بدأ عبد العظيم يمل من هذا العالم ومن ما سيحدث للعراق "ولماذا سأجهد نفسي لأتآلف مع عالم لا احبه ولا أريده ! وماذا سأنتظر منه؟ !"[2].

بعد القصف لم يحتمل عبد العظيم هذا الوضع، فحاول أن يضع حدا لحياته بالانتحار "كان عبد العظيم مرميا ارضا على وجهه، وتنتشر تحته بقعة كبيرة حمراء من الدم الذي غطى الأرض والسجادة البنية"،[3] وقبل أن ينتحر كتب وصية قال فيها "أنا عبد العظيم الحماد أكتب وصيتي هذه وأنا في كامل قواي العقلية ودون ضغط أو تدخل من أحد.

أولا: لا تطالبوا أحدا بدمي لأني انتحرت ولم يتدخل أحد بذلك.

ثانيا: أهب كل أملاكي وأموالي إلى ابن أخي ناجي، وهو وريثي ويتصرف بأموالي كيفما يشاء، ما عدا شيء واحد: البيت الذي أسكنه أنا وسعدون، تتجول ملكيته إلى

[1] الرواية، ص285.
[2] الرواية، ص 286.
[3] الرواية، ص300.

رفيق عمري وصديقي الوفي سعدون، وهو حر بالتصرف به ولا يشاركه في ملكيته أحد.

ثالثا: أرجو تحقيق أمنيتي الأخيرة وهي أن يتم دفني بجانب قبر والدي الحبيب"[1].

لا يمكن القول بأن عبد العظيم شخصية سلبية تماما ولكنه ذا أرادة فسلبيته تكمن في كونه لم يتزوج أبدا بعد حبه، والثانية في انتحاره وعدم المواجهة أما ايجابياته تكمن في كونه لم يتوقف عند حبه بل أكمل دراسته وتخرج وأصبح رجلا مرموقا، وأيضا في موقفه مع ناجي.

5- العم سعدون: شيخ يعمل بستانيا عند عبد العظيم، وكان يسكنه إحدى غرفه كان شريكه في وحدته ورفيقه طوال سنين، له قصة طويلة كان العم سعدون من سكان الديوانية وكان يعرف هناك بسعدون الصقر لأنه لم يكن يخطئ هدفا أو طريدة ببندقيته القديمة، لم يكن يجاري سعدون في مهارته بالرمي غير حردان أبو جرادة والذي سمي بهذا الإسم لرشاقة حركته وسرعته تحديد الهدف والتصويب خلال المواجهات كثر أعداء سعدون وحساده ودبروا له مكيدة خبيثة، أغار بعض الرجال ليلا على بيت حردان أبو جرادة وقتلوه، لتتوجه أصابع الإتهام من بعد إلى الشخص الوحيد الذي كان يفرح بموته سعدون الصقر كي تخلوا الساحة له ولبطولاته، تحرك طلاب الثأر نحو سعدون لكنه هرب منهم اختبأ في المزارع المجاورة مدة من الزمن، ولكنه لم يحتمل فرحل إلى بغداد واشتغل كل المهن وفي يوم من الأيام ذهب إلى بيت عبد العظيم مع رفاقه العمال لبناء جدار فراقبه عبد العظيم وأعجب بأمانته واحترامه لعمله، فطلب منه أن يعمل عنده فوافق ومن ذلك اليوم وهما مع بعضهما لا يفترقان رغم الحصار والحرب، لم يفترقا إلى أن انتحر عبد العظيم ووجده جثة هامدة ووجد في جيبه ورقة قرءها فكانت وصية أوصى له ببيته"ما عدا شيء واحد البيت

[1] الرواية، ص301.

الذي اسكنه أنا وسعدون، تتحول ملكيته إلى رفيق عمري وصديقي الوفي سعدون وهو حر بالتصرف به ولا يشاركه بملكيته أحد"[1].

يظهر لنا الروائي في هذا الشخص شجاعة العربي وفروسيته وصبر البدوي وتحمل الجلد والصعاب وقد كافئه الراوي بأن أعطاه صديقا رائعا، شاركه حياته.

السيد جبار أبو ورود: رجل غني استفاد من الحصار كثيرا في زيادة ثروته، "رجل ضخم هائل البطن عظيم الجثة كبير الرأس لا ينقصه سوى وسادة حريرية ملونة يتكئ عليها ليعلن نفسه كأحد الخلفاء، رجل تهتز الأرض تحت قدميه ... وهو يعلم ذلك فيتعمد أن يضرب قدميه بالأرض بقوة عندما يسير وكأنه عائد من غزوة من الغزوات المظفرة"[2].

كان رجلا متكبرا ويمشي بخيلاء وكان قاسيا جدا، عرف ناجي عن ذلك الرجل من خلال ورود التي كثيرا ما حدثته عن قسوته واستئثاره بآرائه، دون السماح لهم بأدنى حق بالمناقشة غير أنه كان كريما غاية الكرم، وهو يسافر كثيرا إلى خارج البلاد ليبرم العقود والصفقات التجارية ويعود محملا بالهدايا الثمينة لبناته ولزوجته السيدة مرام الكاتب"[3]، تقدم ناجي لخطبة ورود منه لكنه رفض بلباقة كبيرة، وهو يذكر لهم عماد ابن صديقه والمهندس الغني الذي يرغب في أن يزوج ابنته له وبين ناجي الذي لا يزال يدرس وهو رجل فقير ولا يملك أي شيء.

السيد جبار نموذج للرجل الارستقراطي المتسلط الذي يحس بأن الدنيا كلها ملكه ذكر كل ابعاده الجسمية والنفسية والاجتماعية ليبرز لنا مدى تجبر الأغنياء وتسلطهم.

---

[1] الرواية، ص 301.
[2] الرواية ، ص 66.
[3] الرواية ، ص68.

6- صديق ناجي أحمد: جار ناجي وصديقه، هرب من العسكرية ويختبئ في بيته منذ عامين "بقي مختبأً في منزل ابويه منذ قرابة عامين"[1]. ولم يستطع تسليم نفسه من وقتها "لا ادري يا ناجي لا أدري، كلما مرت الأيام أرى امكانية تسليم نفسي تزداد تعقيدا"[2]، يختبئ في غرفته المظلمة طوال اليوم لا يفتح الستائر ولا يشعل المصباح وهو يعيش حالة من الخوف، يخاف من أن يمسكوه، كان شباك غرفة أحمد موصدا غطي بستارة زرقاء سميكة تحجب نور الشمس الساطعة فيرتد نور الشمس حزينا نحو حديقتهم الصغيرة"[3].

رغم محاولات ناجي لإقناعه بأن يذهب إلى المعسكر ويسلم نفسه لكنه رفض أن يذهب وهو في عزلته تلك، بحث أحمد عن شخص من ذوي النفوذ القادرين على اخراجه من هذه الورطة، ولكنه لم يجد وقد يعود السبب في تخلي أحمد عن الخدمة العسكرية هو أن شقيقه الأكبر محمد أعدم من طرف الجيش" أصيب بصدمة كبيرة بعدما فقد شقيقه الأكبر وأصبح مستعد لكل شيء ماعدا العودة للخدمة العسكرية، إلى خدمة أناس سلبوه شقيقه الوحيد"[4]، قتلوه كما يقال في الحي لأنه تابع لتنظيم سري يسعى لتقويض النظام الحاكم، رغم اشتداد الحصار وتغير البلاد لكن أحمد لم يتغير وبقي في مكانه في غرفته وعزلته "تتكاثر الطيور في اقفاصها على اسطح البيوت المتلاصقة، ويتعاقب الليل والنهار...وأحمد باق في غرفته لا يبرحها ولا يسمح لشعاع الشمس بالولوج إلى مخدعه الذي لم يتغير هوائه منذ زمن فأصبح كالقبر"[5] زاد قلق ابويه عليه فهما لا يودان فقدانه بعد فقدان محمد، وعندما حل القصف ذهب أبواه إلى الملجأ أما هو فلم يغادر غرفته، رغم القنابل والصواريخ،

[1] الرواية، ص11.
[2] الرواية، ص7.
[3] الرواية ، ص12.
[4] الرواية، ص13.
[5] الرواية، ص83.

وعندما انتهى القصف " خرج أحمد من غرفته راكضا نحو الشارع، سقط شعاع الشمس على عينيه فشعر بسعادة كبيرة وهو يغتسل بثوب ذهبي أكسته الشمس اياه فوق ثيابه التي لم تتعرض لتراب الشارع منذ سنين.

صرخ بكل ما أوتي من قوة:

– سقطت الحكومة ... سقط نظام صدام... لم تعد هنالك حكومة. أنا حر أنا حر وأخيرا أنا حر..."[1] تحرر أحمد من سجنه "اقصد فلنذهب ولنقتل كل من كان يعمل مع تلك الحكومة دهش أحمد لهذا المقترح الذي لم يفكرفيه في يوم من الأيام وكان يتمنى أن يحدث ذلك على شرط ألا يشترك فيه، فالحكومة زالت ولم يبقى لها اثر فلماذا الدماء إذا؟"[2].

لم يصدق أحمد ما قيل له كان يتمنى أن يحدث ذلك ولكن ليس بالقتل وليس بانقسام البلاد.

قدم لنا الراوي شخصية أحمد كشخصية عانت من قسوة الحكومة بمقتل أخيه محمد، ولكنه يمثل مظهر الشاب السلبي الضعيف، الذي لا يستطيع المواجهة مواجهة الواقع، وقد توقع أحمد ما سيحل بالبلاد بعد سقوط النظام، فقد أدرك بأن البلاد ستنقسم وتتخرب ويذهب السلم والآمان نهائيا.

7- أبو أحمد (الحاج عباس): أو كما يلقب أبو محمد، كان مناضلا إبان فترة شبابه بين صفوف الحزب الشيوعي، كان مليء بالتفائل، نشر مواضيع ودراسات التي نشرها في صحيفة طريق الشعب عن إمكانية نجاح التجربة الماركسية في العراق، دارت الأيام دورتها القاسية، وخرجت الكرة من ملعبهم الفسيح لينتهي بالتالي

[1] الرواية، ص 296.
[2] الرواية، ص 297.

كرجل مسالم يفضل الكلام همسا إن تجرأ على الكلام سعى مع رفاقه لتحويل العراق إلى دولة ماركسية عندما كان عبد الكريم قاسم في السلطة لكنهم تخلو عن الحلم لأنهم لم يتفاهموا فيما بينهم، فتخلى عباس عن الحزب، وحفر حفرة ووضع فيها كتبه الماركسية وكتاباته وأوراقه واهتم بأسرته وأولاده، عندما قرر أحمد أن لا يعود إلى المعسكر شعر الحاج عباس بالخوف والقلق، خائف من أن يفتح الباب يوما ويرى الشرطة تأخذ أحمد ولا يعود أبدا وهو يخشى أن يقدم إبنه قربانا جديدا في درب المجهول وقد أطبق الحاج عباس على نفسه نوعا من العزلة إذ أنه أصبح لا يذهب إلى أي مكان حتى إلى المقهى توقف عن الذهاب إليه، ورؤية جيرانه كما سمي بيته ببيت الخائن محمد الذي امسكه الجيش وإعدمه كما يقال" كان الخوف والقلق رفيقي الحاج عباس في الليل والنهار ... لم يعد قلبه المريض يقوى على تحمل الصدمات، فبعدما غاب ولده البكر محمد قبل أعوام ولم يعد، اعتصرت العبرة قلبه لسنين طويلة"[1]، بحثا عنه هو وزوجته عن محمد في كل مكان ولم يجداه لهذا كان يخافان على أحمد.

قدم لنا الراوي نموذجا لشخصية الرجل المنكوب الذي فقد ولده البكر وكاد يفقد ابنه الثاني تخلى على كل أحلامه وطموحاته في سبيل العائلة.

8- أم أحمد (فوزية): وقعت فريسة الهم والحزن، لفقدانها ابنها الأكبر محمد ثم تخلى أحمد عن الخدمة العسكرية أو فر منها وهي مصابة بمرض القلب، وقد بحثت مع زوجها على محمد في كل مكان بحثا في مراكز الشرطة وفي المستشفيات وحتى ثلاجات الموتى ولكنهما لم يعثرا له على أثر ولم تصدق أن ابنها قد مات ولن يعود أبدا أما بالنسبة إلى جثته فالذين أعدموه لم يفتهم أن يبقوا على جثته أكملوا جريمتهم

[1] الرواية، ص13.

على أحسن وجه.

أما الشخصيات الثانوية في محيط المعسكر فنذكر:

9- عدنان: صديق وزميل ناجي في المعسكر، شاب حيوي لا يخلوا وجهه من الابتسامة ولكن ظروف الحصار لم تبقي له تلك الابتسامة كما كانت "ابتسامة عانت الكثير قبل أن تظهر على محياه بهذا الوضوح، لم يكن من أولئك الذين يصمتون كثيرا ولهذا فهو يشتاق للكلام أكثر من شوقه للصمت، هو من منطقة باب الشيخ في وسط بغداد حي تراثي تتراص البيوت هناك بتلاحم خانق لذا تعود من تلك البيئة التي شهدت اولى خطواته على الارض وبدايات نطقه البريء أن يتكلم مع الناس عن مختلف الأمور، حتى خصوصياته"[1]

عندما عاد ناجي إلى المعسكر بعد الإجازة ذهب عدنان إليه متوددا ليطلب منه أي شيء طبخته أمه وإحضره معه، نظر عدنان إلى ناجي وسأله بصوت منخفض على غير عادته:

- كيف حالك يا ناجي؟

- أنا بخير والحمد لله وأنت؟

- أنا بخير...وددت أن أعرف إن جئت بشيء يؤكل من بيتكم؟ فأنا هنا منذ سبعة عشر يوم ولم آكل غير الرز والحساء...لقد ملت معدتي من هذا الطعام،ألم تأت بشيء معك؟

ابتسم ناجي وأخرج من خزانته الصغيرة قطعا من الكعك بالتمر الذي أعدته له أمه قبل مغادرته المنزل، طغت ملامح الفرحة على وجهه المتعب.

[1] الرواية.ص .118

– شكرا يا ناجي ورحم الله والديك على هذه الكليجة"[1] كان عدنان يعرف كيف ينتهز الفرص وكان يضحك جميع من يجلس معه، وبعدما توجهوا إلى المزرعة كان أول من تجول في الحي تجاوز الجدار الذي يفصل بين المزرعة والحي ولكن تغير عدنان فجأة من شخص يضحك ويتكلم طوال الوقت إلى شخص كتوم يطيل التأمل، يخرج يوميا من المزرعة من الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ويعود على الساعة الثالثة صباح ولم يعرف سره لقد أحب فتاة وأصبح يذهب إليها كل ليلة وهذا هو حاله إلى أن أتى القصف وقتل الجميع في خنادقهم ماعدا ناجي.

10– حمزة: جندي في المعسكر كان سيكمل خدمته بعد شهر ولكن صدر قرار بتوقيف الإجازة والتسريح "حمزة أحد الذين أصابهم الأسى بعدما صدر الأمر بإيقاف تسريح الجنود كان من المفترض أن يتم تسريحه في الشهر المقبل لكن أمر إيقاف التسريح صدر قبل عشرة أيام ولأمد غير معلوم"[2].

لم تكن لديه الكثير من المشاريع بعد التسريح "كان يحلم بالعودة إلى مسقط رأسه في مدينة المحاويل حيث يسكن والده وأفراد عشيرته ثم يكلف أمه بالبحث له عن عروس جميلة بين فتيات العشيرة وإن احتاج للمال سوف يسعفه صندوق العشيرة بما سيحتاجه لإتمام العرس"[3]، أحلام حمزة كانت بسيطة جدا، لكن ربما الأحلام البسيطة لا تتحقق.

وعندما حلو بالمزرعة، طلب ستار من حمزة أن يخبره عن أسماء الذين يخرجون من المزرعة ليلا تحسبا بأن لا يدخل عليهم أي جاسوس فوافق حمزة، وأدى عمله كاملا، ولكن أمريكا تعرف كل شيء، ووسائل الجوسسة متطورة عندها ولا

[1] الرواية، ص119.
[2] الرواية، ص107.
[3] الرواية، ص107.

تنتظر من جندي لا يعرف أي شيء ليخبرها بأشياء تعرفها، ولكن القنابل أجهزت عليه هو ايضا.

ويمثل عدنان وحمزة مثال الشابين الذين أفنيا عمرهما من أجل الوطن وهم كغيرهم من آلاف الجنود الذين قتلوا في هذه الحرب لهذا لم يذكر صفاتهم الجسمية فهما وغيرهما من زملاء ناجي مثل ينطبق على شباب العراق الذين جندوا ثم ماتوا شر موتة.

11- رئيس العرفاء ستار: رجل شديد يخافه الجنود بسبب قسوته، وعقوباته بسبب وبدون سبب، كان يأخذ الرشاوي من الجنود "لكنه لا يقتنع في بعض الأحيان بالتغاضي عما يرتكبه البعض من هفوات مقابل علبة سكائر أو نصف دجاجة مشوية ...كان في السابق يتعلل بأن الراتب لا يكفي، لذا يجد نفسه مضطرا للقيام بذلك ...كانت رواتب رؤساء العرفاء ونواب الضباط متقاربة لكن ستار وحده الذي كان يشكوا ويتبرم من ذلك المبلغ الذي يتقاضاه كل شهر وحتى بعدما صدر قرار رفع الرواتب، بقي ستار يمارس هواياته باصطياد الجنود المستعدين للدفع"[1]، وقد أصيب بالإدمان على الرشوة ولم يعد قادرا على تركها، هذه الرواية كلفته الكثير "فقد كان والده جبر نائب ضباط في الجيش وأحيل على التعاقد في نهاية عام تسعة وثمانين قبل دخول الجيش إلى الكويت، ولما شاهد بأم عينه الشاحنات وهي تعود من هناك محملة بالأثاث والأجهزة الكهربائية، أذرف دموع الحسرة والألم وقال لابنه ستار : أنظر يا بني ولا تنسى هذه اللحظة أنظر جيدا...سندفع ثمنا عاليا مقابل ما يحدث في هذه اللحظة"[2] وكأن جبر كان يعرف ما سيحدث في هذه الأيام، وفي يوم من الأيام أرسل أحد جنوده خروفا كهدية لستار، مقابل بعض التسهيلات لكن والد

[1] الرواية، ص104.
[2] الرواية، ص105.

ستار صعق بهذه الهدية، اكتشف أن ابنه مرتش ورفض أن يقبل تلك الهدية، فغضب كثيرا وتهدد وتوعد بقتل ستار إلى أن رآه أمامه ...سمع ستار بذلك واشتد غضبه، لكنه يعرف أباه جيدا...إن قال فعل وأصبح الأب يرى في ابنه رمزا لانحدار الجيل الجديد، وبداية لتصفية الحساب أو للثمن الذي تنبأ بأنهم سيدفعوه بأعز ما يملكون "انتهت علاقة الأب بابنه على هذا الحال، وبدأت القطيعة بينهما، حقد ستار على الجنود وأصبح يرى فيهم السبب وراء فقدانه لأبيه وهو حي، لم يعد يبتسم لأحد منهم وإزداد قسوة وجشعا، ولم يفوت فرصة إلا وانتهزها لصالحه ليمتص النقود من جيوب الغير"[1]، وهذا ما يفسر شدته على الجنود وقسوته عليهم ولم يفوت أي سبب لمعاقبتهم، كما فعل عندما رد عليه أحد الجنود كلمته قشام، فثارت ثائرته وعاقب أقصى العقوبات جميعا، لأنهم لم يخبروه من الفاعل، فأمشاهم القرفصاء، وطلب منهم الجري لكلمترات، ثم أمرهم بالجري وراء كلب شارد ومن ثم أمرهم بمداومة البروك والنهوض لساعة ولم ينقذ الجنود إلا النقيب هادي فطلب منهم أن يتركهم لينامو وفي الصباح يأدبهم وعندما غادروا المعسكر وتوجهوا إلى المزرعة طلب من حمزة مراقبة الجنود وإعطاء كل التفاصيل عنهم، إلى أن حل القصف وقتل.

ستار مثل الرجل الذي يقع ضحية أعماله فلولا قبوله الرشوة لما عاقبه أبوه وحرم منه وهو حي، ومثال القسوة فقد أفرغ غضبه من تلك الحادثة في الجنود المساكين.

12- النقيب الهادي: أطيب من في المعسكر كان لا يحب إهانة الجندي بالرغم من تمسكه بالقوانين العسكرية،، وما يثير التساؤل أكثر حول الرجل هو أنه لا يغادر المعسكر إلا نادرا وعندما يحين موعد إجازته يذهب إلى مكتب المساعد لاستلامها وبعدها يدلف إلى غرفته ويضعها بجانب إجازاته القديمة في درج صغير بمكتبه المعدني !!! ووضعه هذا أثار الكثير من التساؤلات بين رفاقه الضباط وتناقل

[1] الرواية ص 106.

الجنود الكثير من التساؤلات وتناقل الجنود الكثير من الإشاعات قيل أنه مطلوب ثأرا وهارب من مشكلة عشائرية ...و ماهي تلك المشكلة العشائرية التي تمنع ضابط من الذهاب إلى أهله يبقى هذا السؤال بدون جواب لماذا لا يذهب إلى بيته أبدا؟.

وقد كان هادي قد أنقذ الجنود من ستار في تلك الليلة فشكره الجنود كثيرا وفي أحد الأيام أرسل ناجي مع النقيب هادي في مأمورية، فشاهد النقيب الدخان يتطاير في السماء، سماء بغداد فأوقف النقيب هادي الشاحنة ونزل فوقف بجانب مصدر الدخان يصنعة رجال مسلحين بالكلاشينكوفات اليوغسلافية القديمة ويرتدون بدلات عسكرية جديدة من دون رتب ولا علامات ففهم أنهم من أعضاء حزب البعث فسألهم هادي عن سبب إشعال النار وماذا يحرقون، فأخبروه أنهم يحرقون النفط كلنا بإحداث شقوق في الأرض وإحراق النفط بداخلها، لأن هذا الدخان المتولد من الأحتراق سيحدث تشويش على الأجهزة الإلكترونية في طائرات العدو فاستغرب ناجي لهذه الفكرة "هل ينفع حقا دخان بسيط في اسقاط مقاتلة حديثة الصنع؟! [1].

التفت النقيب هادي إلى خالد وسأله:

قلي يا خالد هل تعرف اهزوجة الطوب (أحسن لو مغواري)؟

– كل يا سيدي لا اعرفها.

التفت كي يسأل ناجي لكنه كان في الحوض الخلفي للسيارة وعجز عن سماع أي شيء بقي النقيب هادي يدندن مع نفسه طوال الطريق: (الطوب أحسن لو مغواري...الطوب أحسن لو مغواري)"[2] لم تصدق جهود حزب البعث لأن الطائرات عرفت طريقها جيدا وصوبت صواريخها وقنابلها نحو أهدافها المطلوبة، وصدق تعجب النقيب هادي وعندما أشيع خبر وجود جاسوس في المزرعة المقابلة

[1] الرواية ، ص230.
[2] الرواية، ص231.

لمزرعتهم، وتوجه هو كقلب الأسد نحو المزرعة وبحث عن الجاسوس ولكنه لم يجد شيئا وقع القصف وقتل الجميع.

أبدى الراوي لنا شخصية هادي شخصية مناضلة تؤمن بعملها وتؤدي دورها بأكمل وجه بالرغم من سره العظيم الذي يخبئه في صدره منذ سنين، ولم يظهره لأحد، صبره وشجاعته مثال للجندي العراقي الذي يحب وطنه.

13- العقيد ركن عبد الوهاب البراق: ينحدر من عائلة عسكرية "تحترف مهنة الجيش والحرب منذ عدة أجيال وقيل أن أحد اجداده المعروف بجمال البراق كان من ضمن مؤسسي الجيش العراقي عام 1921 وأوكلت إليه آنذاك مهمات عسكرية جسيمة من ضمنها عقد صفقات لشراء الأسلحة لصالح المملكة العراقية لانقلاب عسكري من قبل بعض الضباط، وقف هو بجانب الملك رافضا أن يحنث بالقسم الذي أدلى به عند بداية ممارسة مهنته كرجل حرب، وحاز بهذا الموقف على ثقة الملك، وبعد فشل ذلك الانقلاب قربه الملك وجعله من بطانته ومرافقيه"[1]. ولكن المزايا لم تدم عندما وصل عبد الإله إلى الحكم فاعتزل العمل واعتكف ببيته لكنه فوجئ بقرار يجبره على الإقامة الجبرية وألا يبرح منزله لأي سبب كان، وبعد أقل من عام مات في يوم غائم، وفي جنازته رافق جنازته موكب عسكري فخم، واستمر المطر ينهمر لثلاثة أيام متتالية لم ترفرف فيها الرايات خلال تلك الأيام لثقلها مما حملت من ماء المطر "كان ذلك التراث العائلي هو مصدر ثقة العقيد عبد الوهاب بنفسه، فقد ورث ذلك من أبيه ضن دوما أنه الرجل المناسب في المكان المناسب، وتلك هي الرسالة ا لتي حاول أن يقلها لضباطه عندما يكلمهم"[2] ولد عبد الوهاب ليكون قائدا عسكريا، حتى لو ترأس مجموعة صغيرة من الضباط والجنود هادئ دوما، رابط الجأش ويتواضع للجندي الصغير "كان لا يأكل إلا بعدما يتذوق الطعام

[1] الرواية، ص110.
[2] الرواية، ص 110

الذي اعد للجنود ليتأكد أن كان مقبولا أم لا، والويل ثم الويل للطباخ إن لم يكن طعام الجنود مستساغ هو يقول : (الجندي الجائع لا يحارب)"[1] كان يحتفظ بصورة القائد الألماني رومل على منضدته الخشبية وبجانبها صورته عندما كان برتبة ملازم أول يظهر فيها واقفا أمام رئيس الجمهورية صدام حسين وهو يقلده نوط الشجاعة على صدره، والبشر والفرح يطغى على ابتسامته "فخرجت بابتسامة امتدت على وجهه لتكشف عن أسنان بيضاء متراصة أضافت لوجهه نظرة شبابية بينما كان صدام حسين منهمكا بتعليق دبوس نوط الشجاعة على صدره"[2] وهو مصاب بهوس الدخول إلى التاريخ أو ربما مداعبة صوره وأثاره كان هو من أخبره (الجنود) بأن الحرب قادمة، لهذا يجب أن نغادر معسكرنا هذا لأنه مكشوف وبأنه تم إيقاف التسريحات لإنهم في حالة حرب، وهم يحتاجون إلى الجنود.

رجل يحب وطنه ويحب خدمته يحب الخير وهو فخور بعمله ونسبه العظيم الذي لم يأتي من فراغ بل كان بفضل إخلاصه، ونبل في اخلاق عائلته.

14- الملازم أول محمد: ملازم قاسي على الجنود وهو يبدوا جميلا ووسيما عتلى بعد امتار لكنه عندما يقترب تزول تلك الوسامة، "هو يبدو وسيما على بعد امتار لكن ما إن يقترب حتى تتغير هيئته، فهو اسمر الوجه سميك الحاجبين، غليظ الشاربين دقيق الانف وذو عينين صغيرتين مخاطتين برموش كثيفة تزيد من حدة نظراته لكن هنالك شيء ما في وجهه يدفعهم لرؤيته بهيئة سمحة"[3]، تتغير ملامحه من بعيد يبدو جميلا ومن قريب يبدو قبيحا، وهو قاس على الجنود كثير بعكس النقيب هادي "ربما قسوته معهم هي التي تجهلهم يكرهون رؤياه ويتحاشون المرور

[1] الرواية، ص111.
[2] الرواية، ص112.
[3] الرواية، ص109.

من امامه كي لا يكلفهم بمهام صعبة"[1] لم يحبه أحد من الجنود لقساوته وفي القصف مات الملازم.

15- الملازم أول محمد: غريب الطباع لا يصبر على البقاء في المعسكر لثلاث ليال متتالية."الذي لا يصبر على البقاء في المعسكر لثلاث ليال متتالية"[2] وهو يسكن قريبا من المعسكر "فهو يسكن في إحدى ضواحي ديالي التي لا تبعد غير مسافة ساعة عن المعسكر، وهكذا يراه البعض اوفر حضا من بقية الضباط الذين يسكنون في الموصل أو كركوك"[3]، وهو قاس القلب صعب المزاج يخافه الجنود كثيرا، "فان الايام التي يقضيها في المعسكر هي الايام العصيبة بالنسبة للجنود يتفقون جميعا على أنه شديد القسوة في معاملة الجنود، ولا يرحم أولا يرغب أن يرحم احدا، ولا يلجا إلى عقوبة قص الشعر والسجن إلا بعدما بعدما يشفي غليله من العقوبات البدنية التي يتفنن فيها، كما أنه لا يفكر إلا في نفسه غي اتعس الأوقات"[4] ففي إحدى المرات طلب من ناجي أن يملا له الماء من الحنفية الرئيسية وتملا بها مبردة الهواء الخاصة بغرفته في منتصف النهار والحرارة شديدة، والشمس محرقة، وفي ساعة النهار الاشد حرارة، والمسافة بين الحنفية ومكتب الملازم أول محمد خمسمائة متر، واضطر للذهاب والمجيئ أكثر من عشر مرات والعرق ينصب على ناجي من اعلى رأسه اى اخمص قدميه، وتأفف ناجي كثيرا منه، وقد كان يكرهه كثيرا، ومات محمد في القصف.

16- عماد: شخصية متفائلة كثيرة الابتسام رغم المحن والصعاب "كان عماد كثير الابتسام ولا يعبس إلا نادرا، وحتى عندما يشتد الحر يهرولون تحت الشمس اللآهبة يقول بهدوء ثلجي.

---

[1] الرواية ، ص109.
[2] الرواية ، ص134.
[3] الرواية، ص134.
[4] الرواية، ص134.

يا بوية اليوم الحر ما ينحمل"[1] كان هادئ ومتفائلا ولا يدخل التشاؤم قلبه ابدا وهو ينحدر من عائلة فقيرة في قرية بجنوب تكريت، كان بإمكانه أن يصبح ضابط أمن لو افلح في نهاية دراسته في الكلية العسكرية...الح ابوه عليه ليلتحق بتلك الكلية واذعانا لرغبته الملحة وجد عماد نفسه بين ليلة وضحاها متوجها نحو حي الرستمية ليلتحق بتلك الكلية تلبية لرغبة والده الملحة الملحة، رغبة تناقضت مع هواه وميوله لكنه وجد نفسه عاجزا على الرفض"[2] دخل عماد الكلية العسكرية وهو كاره لها وهو يتنافى مع ميوله فهو يرغب أن يكون استاذا، تلبية لرغبة والده، كانت أيام الكلية عصيبة على عماد، فقد كان يرى أنه لم يخلق لهذا المكان وهو يلوم والده في سريرته لكنه لم يجرؤ على البوح بسره امام أحد، كل شيء هنالك بحساب وفقا لقياسات محددة "ارتداء الثياب يجب أن يتم خلال عشر ثوان دون أن تجرح عارضتيك ! أو حتى تناول الطعام لا يتجاوز عشر ثوان !!!"[3]، وهو غير متعود على هذه الحياة والسرعة تعود على السير يمهل لا راكضين، يجلسون ساعات وهم يشربون الشاي، يأكلون ويشربون وينامون، ويتزوجون بدون حساب، ينجبون الأطفال بلا تخطيط للغد، رجع عماد إلى قريته في إحدى الاجازات الاسبوعية بعدما بلغ مرحلة المتوسط، وجد والد جثة مغطاة مات والده وهو غائب، ولم يره وبعد مرور الايام قرر أن لا يعود إلى الكلية العسكرية ثانية "قرر عماد أن يترك الكلية العسكرية إلى الأبد..."[4] لم يوافقه اعماقه على ذلك القرار لأنها كانت رغبة والده ولكنه اصر على قراره.

تمسك برأيه وترك الكلية العسكرية، دخل إلى كلية التربية قسم اللغة العربية وبعدما انهى دراسته توجه إلى لواء الصواريخ لتأدية الخدمة العسكرية الالزاميو.

[1] الرواية ، ص 160.
[2] الرواية ، ص160.
[3] الرواية ، ص 160.
[4] الرواية، ص 162.

شاءت الصدفة أن يلتقي بزميله السابق أحمد الذي أصبح ملازما أول توجه نحوه راكضا لتهنأته على هذه الرتبة التي وصل اليها "لكنه لشدة فرحته بزميله نسي أن يؤدي له التحية، نظر الملازم أول أحمد إليه بغضب وامره أن يعود إلى فصيلته حتى من دون أن يسمح له بالكلام"[1]، خاب أمل عماد في صديقه القديم ولازم نفسه كثيرا عن تصرفه وقال في نفسه "حقا انا لم اخلق للحياة العسكرية ولم تنجبني امي لاصبح بطانا حجا في يوم ما"[2]، لقد نسي عماد بأنه لا يحب الخروج من الكردوس من دون إذن، حفر عماد خندقا بجانب خندق ناجي عندما تركوا المعسكر وذهبوا إلى المزرعة لكنه حفره بقرب ساقية الماء، فابتسم له وحفر خندقا آخر، وقد مات ناجي في القصفل.

17- سفيان: شاب يتمنى أن يهاجر إلى ألمانيا "كان غالبا ما يتكلم عن ابن عمه في ألمانيا وانه يتمنى أن يلتحق به إلى هناك بعدما ينهي خدمته العسكرية"[3]، يعمل ابن عمه في شركة كبيرة لبناء الجسور قال له ناجي أن مهنته متعبة "اجاب سفيان بلهفة: انها امنيتي يا ناجي...الحلم الذي لا يفارقني، هل حقا سيكتب الله لي أن اذهب إلى ألمانيا؟ واعمل هناك؟ واخلص من هذه الهموم؟"[4] كان سفيان مهووس بالهجرة يرغب في الهجرة بأي ثمن، في الواقع هذه امنية يتقاسمها جميع الجنود في المعسكر إلا ناجي الذي كان يرغب في البقاء في بلده ولكن هذه الامنية لم تتحقق لا لسفيان ولا لزملاءه فقد ماتوا جميعا في القصف.

18زياد: حسن الخلق سريع المخالطة كثير الكلام طيب القلب، في أحد المرات أمرهم ستار بالنوم وشتمهم نامو يا قشامر فقال له زياد انت القشمر، "اخرس انت يا

[1] الرواية : ص 166.
[2] الرواية ، ص 166.
[3] الرواية ، ص205.
[4] الرواية ،ص 206.

ستار القشمر..."[1] فجاء ستار مهرولا يبحث عن القائل لأنه لم يعرف من القائل بسبب صوت المذياع الذي كان يستمع إليه وسألهم من القائل لكن احدا لم يقل بأن زياد هو القائل، إلى ساحة العنيفة "ساروا وهم في وضع القرفصاء لمسافة طويلة..."[2] فأخذ منهم التعب كل ما اخذ ثم اشار ستار بيده إلى أحد العوارض الحديدية المنتصبة وسط العنيفة وقال "هنالك تلك العارضة تلتفون حولها وتعودون راكضين أول ثلاثة امنحهم بضع دقائق للراحة...هيا دوام"[3] ركضوا بأقصى سرعة، سمح ستار للثلاثة الأوائل بالجلوس وكان من بينهم زياد "نظر عدنان إلى زياد بغضب وصفق يديه ببعضهما وهو غير محتمل لهذا المنظر..."[4] ثم امرهم بالجري وراء الكلب السائب الذي مر من امام الفيصل فاستغربوا ولكنهم جرو ورائه، بكل ما اوتو من قوة ولكن الكلب ركض بسرعة فلم يمسكوه وعادوا ستار خائبين فقال لهم : "لماذا تركتموه يهرب يا قشامر هيا أبرك"[5]

ثم امرهم بالبروك والنهوض لأكثر من ساعة ولم ينقذهم في ذلك الليل إلا النقيب هادي الذي قال لستار، دعهم يذهبوا وينامو، فذهبوا شاكرين معروف النقيب هادي، وعندما انتقل إلى المزرعة تعرف على سكان الحي واقام علاقات صداقة مع سكان تلك المنازل "فقد تعرف عليهم بعد مضي يومين من وصول كتيبتهم إلى المزرعة كما انهم اعطوه القليل من طعامهم البسيط، الرز مع البطاطس المسلوقة"[6]، فوشى به احدهم امام آمر الفيصل الملازم أول محمد الذي نهره وهدده بأنه سيرميه في الوحل بملابسه الداخلية إن كرر فعلته، ولكن زياد بقي يخرج من المزرعة وقتل زياد في

[1] الرواية، ص 120.
[2] الرواية، ص125.
[3] الرواية ص 126.
[4] الرواية ، ص128.
[5] الرواية ، ص129.
[6] الرواية ، ص169.

القصف، لم يذكر الراوي لا صفات ص ياد الاجتماعية ولا الجسمية وكأنه صفات الجيل بكله.

وذكر الراوي شخصيات أخرى، أحمد، قاسم، خالد، ذكرهم في بعض الحوارات لكنه لم يخص لهم أي موقف أو فعل أو مقولة.

4- الشخصيات غير العاملة:

الشخصيات غير العاملة، هي شخصيات يذكرها الروائي أو الكاتب في روايته قد تكون شخصيات تاريخية أو اسلامية، أو اسطورية، أو تراثية أو علامة وهذه الشخصيات تذكر للموعظة أم للمقارنة بين الشخصيات الحقيقية في الرواية وبينها، أو لأن ما يحدث لشخصية الرواية يشبه ما يحدث لهذه الشخصية غير العاملة.

1- موسى عليه السلام: يذكر سيدنا موسى عليه السلام أكثر من مرة في الرواية "ستجدني إن شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا عن قول موسى في القرآن وهو يخاطب الرجل الصالح الذي قال له أن لا يسأله عما يبدر منه من تصرفات خلال رحلتهما، لكن موسى لم يتمسك بكلمته ولم يصبر بل ساله مرة وثانية وثالثة حتى ضاق به رفيقه ذرعا وقال له هذا فراق بيني وبينك[1].

ما حدث لموسى يحدث مع الجنود فهم تعودوا على عبارة نفذ ولا تناقش وعبارة ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا، نقشت في عصى التبختر في الكلية العسكرية، يعني بأن الجنود أمروا بتنفيذ كل ما يطلب منهم دون أي كلمة، وكذلك موسى فقد قال له سيدنا الخظر أن لا يسأله عن ما يبدر منه من تصرفات.

[1] الرواية، ص104.

"تذكر حينها النبي موسى حين هرب من بطش فرعون لما أتاهم بجريمة لم يرتكبها، وكان موسى حينها لا يلوى على شيء سوى البقاء حيا وخرج من مصر وهو لا يدري إلى أين يتجه وأي باب يطرق ولكنه عثر على شيخ زوجه ابنته وآواه[1]"

قصة سيدنا موسى عليه السلام تشبه قفصة سعدون الذي هرب من قريته بعدما أتهم بقتل رجل في قريته، ففر من قريته إلى بغداد وهو يتساءل موسى عليه السلام آواه الشيخ الصالح وأنا من سيأويني.

2-فرعون: ذكرت هذه القصة عن الدخان الذي قيل أنه يحطم الطائرات لأنها تفقد الإتصال مع الحكومة، صعدت النيران نحو السماء، دون أن تبلغ هدفها الذي حلق بعلو شاهق، لا تبلغه الأبصار ولا تدركه نيران الدفاع، يا هامان إبن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات والأرض".[2]

مل تفلح النيران العراقية من بلوغ الطائرات الأمريكية، كذلك حدث لفرعون لم يستطع الوصول إلى السماء.

3-هولاكوا: شبه ناجي أمريكا بهولاكوا جاء بجيش جرار ودمر بغداد بكاملها وكذلك أمريكا في عام 1991، دمرت العراق ولكن هذه المرة جاءت بوعود كثيرة الإصلاح والإخلاص وهذه المرة هولاكوا (أمريكا) " لكن هذه المرة لبس هولاكوا بزة المخلص المنقذ الأمين، وتوسد عباءة العراف الطيب الذي سيزف لنا البشرى وسيخرج من جعبته لعب الأطفال وأغان رأس السنة وأعياد الميلاد، سيتوضأ المصلون بالبيبسي كولا بدلا من الماء المالح، وربما سيقف أهلي وجيراني طوابير أمام مطاعم ماك

[1] الرواية، ص184.
[2] الرواية، ص269.

دونالد في حي الكرادة والمنصور بدلا من وقفتهم التي طالت أمام المنظمات الإنسانية بحثا عن الدواء الذي ما عادت مصانع أدوية سامراء تجهزهم به[1].

وذكر ناجي هولاكوا لأنه أول من دمر بغداد إبان الخلافة العباسية وقد جاءت أمريكا في العصر الحديث ودمرت العراق سنة1991، وهاهي الآن تعود سنة 2003، لتدمير العراق وفي هذه المرة تقول بأنها ستصلح العراق وتأمنه، ولكنها تبحث عن الذهب الأسود النفط في صحاري العراق.

4- زيوس: تذكر ناجي وهو يسير القرفصاء (الذي سلطه ستار على الجنود)، العقاب الذي فرضه كبير الألهة زيوس على سيزيف " الذي كان يوصف بالخداع وتمكن من خداع إله الموت تانتوس، فغضب زيوس لذلك وأمر بعقابه عقابا أبديا، بأن يحمل صخرة كبيرة على كتفه ويرتقى الجبل حتى القمة، وفي كل مرة يبلغ القمة تتدحرج الصخرة للأسفل، ينزل بحثا عناه ويحملها من جديد يد على كتفه ويصعد الجبل وتسقط الصخرة مرة ثانية وثالثة وعاشرة....وهكذا يستمر العذاب إلى ما لا نهاية[2].

والكاتب وظف هذه الشخصيات غير العاملة ليظهر ويبرز شخصياته ويقدم الأمثلة التي توضح شخصياته وخوالجهم أكثر فأكثر.

5- علاقة الشخصيات فيما بينها:

1- علاقة ناجي بورود: ورود كانت الفتاة التي احبها ناجي رغم فارق المستوى الاجتماعي بينهما، فهي فتاة غنية اما هو فشاب فقي، لكنهما كانا يعتقدان بأن حبهما سيتخطى المستويات الاجتماعية، "كانا يتصوران أن كل شيء سيكون سهلا وستذلل الصعاب امامهما كما تذللت في السابق لغيرهم من المحبين وستتنحى

[1] الرواية، ص139.
[2] الرواية، ص125.

العقبات امام جلالة حبهما ليمرا من فوقها يدا بيد كمرور الغيوم البيضاء في سماء بغداد، وتعاهدا على البقاء سوية مهما حدث"[1]، ولكن هذه الصعاب لم تذلل فقد وقف والدها في طريق حبهم فهو يبحث لابنته عن شاب غني لديه عمل واملاك وغنى، اما ناجي فلا يملك أي شيء مما يطلبه أبو وروود فهو ليس لديه عمل وهو فقير ومازال يدرس فكان الفراق مصير المتحابيين فقد كسر قلب المتحابين وافترقا إلى الابد كان الفشل مصير حبهما.

2- علاقة ناجي بوالديه: كانت علاقة ناجي بوالديه علاقة الابن المطيع والمحب لهما كان ناجي يحب امه كثيرا فهي من كانت تدافع عليه وتعطيه الحنان والحب ولم تحرمه يوما من دعواتها الجميلة، وقفت في وجه والده وطلبت منه أن يذهب مع ناجي لخطبتها "عظيم يعني أن رائحتك لا تزال فيها، وسأتنسم رائحتك عندما اندثر بها وسأشعر بأنك بقربي دوما، كن اشعر بالوحدة ولا بالخوف وانا تحت بطانيتك يا أمان"[2]، كان لا يود أن يفارقها أبدا، وفي شدة القصف لم تنسى ناجي وكانت ترفع يديها بالدعاء له بأن يعود إلى حضنها وهو امامها مازال يشعر بأنه طفل صغير، يرغب دوما أن يبقى في حضنها، أما والده فهو يمثل له مثال الجد والتعب والشقاء من أجل عائلته رغم كبر سنه، ولكنه قاس بعض الشيء،، وناجي يخاف منه كثيراً، وعندما طلب منه أن يذهب معه لخطبته وورود لم يوافق، فغضب ناجي كثيرا "إنه دوما هكذا ...منذ الطفولة وهو يعاملني هكذا...احتاجه فيها يخذلني بلا تردد، ولكن أضاع على نفسه الفرصة الأخيرة ليحتفظ بصورته امامي كأب حقيقي...لن يلجأ إليه مهما جر على الزمان وتطاولت على الأيام"[3] ولكنه لا يزال يحب أبوه، وأبوه يحبه أيضا حبا شديدا فالحياة لا تخلوا من بعض المناوشات بين الاباء والأبناء.

[1] الرواية، ص27.
[2] الرواية، ص 249.
[3] الرواية ، ص38.

- علاقة ناجي والشخصيات الأخرى في الرواية بالاحداث الراهنة في البلاد (الحصار، القصف):

اثر الحصار على الجميع فالفراق زادهم بأسا وأسى أما الاغنياء فقد زادهم ثراء يقول عصام أبو ناجي "نحن بالكاد نجد ما نسد به رمقا وكأن الحصار لا ينتهي...كنا في البداية نقول إن الحصار لن يبقى غير أشهر معدودات ...وهاهي أكثر من اثني عشر سنة دون أن نجد خلاصا، لا من الأزمة ولا من الفقر ولا حتى من امريكا التي يبدوا انها لا تجد غير العراق لتتسلى به !!!"[1]، فقد زاده ناجي واهله بؤسا اما السيد جبار فقد زاده غنا وتجبرا "اتسعت تجارة جبار الباز كثيرا عند فرض الحصار الاقتصادي على العراق، فبات من كبار المحتكرين للمواد الغذائية كلما زاد ثراؤه واتسعت املاكه، وربما كان هو أحد أسباب قسوة الحصار وجفوة ايامه ووحشة لياليه الباردة"[2] اما حمزة فكان سيتسرح بعد شهر ولكن بسبب الحصار اوقف التسريح صدر قبل عشرة أيام ولامد غير معلوم"[3] بينما أحمد افادته الحرب فقد خرج من سجنه الذي وضعه لنفسه فبعد انتهاء الحرب خرج أحمد من البيت وتوجه للشارع مناديا "خرج أحمد من غرفته راكضا نحو الشارع، سقط شعاع الشمس على عينيه فشعر بسعادة كبيرة وهو يغتسل بثوب ذهبي اكسته الشمس اياه فوق ثيابه التي لم تتعرض لتراب الشارع منذ سنين صرخ بكل ما اوتي من قوة:

- سقطت الحكومة...سقط نظام صدجام...لم تعد هناك حكومة، انا حر انا حر، واخيرا انا حر..."[4] تخلص أحمد من الخدمة العسكرية، فلم يصبح من مطلوبين.

[1] الرواية، ص 40.
[2] الرواية ، ص69.
[3] الروايية ، ص107.
[4] الرواية، ص 296.

وهذا لا يعني أن هؤلاء الشخصيات لا يحبون الوطن، بل يحبونه ويفدونه بأرواحهم اما ناجي فهو يحب وطنه كثيرا، ولكن الحرب قاسية، قاسية كثيرا "هل اصبحت المفاوضات؟!، اللعنة مالي انا وهذه الحرب التي لا ناقة لي فيها ولا جمل؟! ما الذي سأفعله لو نشبت الحرب؟...ما الذي سيضيفه وجودي على ساحة هذه المعركة؟ رباه اما من حل آخر؟...مبادرة سياسية أو تدخلات دولية، أي شيء يا الله أي شيء يوقف عجلة هذه الحرب المدمرة"[1] الحرب ككلمة ترعب، فما بالك لو أصبحت حقيقة فالكل خائف من الحرب، ليس ناجي فحسب فالحرب لا تذر شيء، فقد خسر ناجي لوحده في هذه الحرب جميع اصدقائه في المعسكر ولم ينجو إلا هو: اخافت الحرب الامنين وشردت الساكنين وخلقت الطائفية التعصب.

علاقة ناجي بصديقه أحمد: كان أحمد صديق ناجي منذ الطفولة كانا يلعبان معا ويدرسان معا، كانا صديقي الدراسة وصديقي الحي، وقد أحسن ناجي حتى الصداقة حينما نسي صديقه بأن يعود إلى المعسكر ويسلم نفسه ترجاه كثيرا ولكن أحمد رفض أن يذهب لتسليم نفسه، فقال له ابحث لك عن اصحاب النفوذ علهم يستطيعون التوسط له، لكن أحمد لم يجد احدا "استدار نحو منزل صديقه الذي بقي مختبئا في منزل ابويه منذ قرابة عامين حيث لم يذق جفنه طعم الغفوة المستقرة، وكلما زاره ناجي في غرفته الصغيرة في الطابق العلوي يراه منزويا في أحد الاركان التي تعلوها آثار سوداء قديمة انبعثت من قنديلة النفط القديم، اساءه حال صديقه الذي لم يجد مخرجا مما هو فيه كما أنه بدأ يلاحظ أنه حتى لا يسعى إلى البحث عن منفذ للخروج من هذه الأزمة"[2]، ولا يزال ناجي يفكر في صديقه حتى في احلك الظروف، حتى وهو في القصف، وكذلك الحال بالنسبة إلى أحمد، فكم من مرة طلب من أمه

[1] الرواية ، وص116.
[2] الرواية، ص12.

الذهاب إلى منزل ناجي للسؤال عن حاله فقد كانت علاقته مليئة بالوفاء والحب المتبادل بين أحمد وناجي.

علاقة ناجي بأصدقائه في المعسكر عدنان وحمزة:

كانت علاقة صداقة فقد تساركا الحلو والمر وتقاسما طعام غرفة النوم وتقاسما الاعمال والتمارين وحتى العقوبات فقد نشأت بينهم الالفة، تحدث مع حمزة الذي تغير فأسر له بما يكدره فهو كان سيتسرح بعد شهر ولكنهم أخبروه بأنه اوقف التسريح فتغير حاله اما عدنان المشاكس فقد كان يتودد إليه ويمازحه ولكنه في أحد المرات سرق عدنان بطانيتة ناجي واهداها لواحدة من صديقاته واكتشف لناجي هذا المر صدفة وعرف أنه الفاعل "صحى ناجي من وقع الصدمة وسحب عدنان من ياقة بدلته

– انت التي سرقت بطانيته لتعطيها لتلك الفتاة .

– دعني يا ناجي فهاهي بطانيتك قد عادت اليك فلما الغضب ؟[1] ولكنه تغاضى عن هذا الأمر انها بلاد تسرق كيف تقارن سرقة البطانية مع سرقة الوطن.

– كان ناجي شخصية محبوبة، فكل من رآه أو تعرف عليه وتحدث معه احبه، وهو شخصية فاعلة في مجتمعه يحبه الجميع حتى النقيب هادي وعبد الوهاب لأن شخصية محبة لا تعرف غير الوفاء والحب والصدق في الأفعال والصدق في المشاعر.

[1] الرواية ، ص 162.

خاتمـــة:

بعد الغوص في أغوار الشخصية الروائية في رواية أيام قبل السقوط لمنذر المدفعي وفي دروب المجاهيل غاصت أقلامنا ودفاترنا، لنخلص إلى مجموعة من النتائج منها:

- حققت الرواية العراقية نجاحا كبيرا، وقطعت أشواطا أطول في مدة قياسية، ذلك أنها اختارت الاهتمام بالمضمون واستقائه من عمق المجتمع العراقي والدلالة الموحية بالمعاني المتجددة والتي ترمي في اغلبها إلى إضاءة الجوانب المظلمة في حياة الإنسان
- تمثل الشخصية عنصر أساسي وفعال في الرواية، فهي التي تحرك الأحداث وتؤطره زمانا ومكانا.
- إن الروائي منذر المدفعي في هذه الرواية قدم لنا شخصياته بأسلوب واقعي، أقنعنا بوجودها حقا، فعشنا معها ألأمها وأفراحها وكأنها جزء منّا
- الكاتب لا تهمه الشخصية بأبعادها كاملة، أنما يتعامل معها معاملة تؤدي في الأخير إلى توظيفها بطريقة فنية خاصة تجعلها تؤدي فكرة موجودة عنده بسبب ذلك كانت مجموعة من الشخصيات مجرد أفكار لذا يمكن أن نسميها شخصيات معنوية أو شخصيات مجردة
- الرواية أعطت الأولوية لهذا العالم الخارجي عن طريق السرد للاحداث وسلوك الشخصيات، ولهذا جاءت بعض الشخصيات مسطحة ومرصودة من الخارج فقط دون النفاد إلى الجوهر
- الكثير من شخصيات أيام قبل السقوط شخصيات نامية تتجاوز سكونية شخصيات الروايات السابقة
- في رواية أيام قبل السقوط كان الراوي فيها كلي المعرفة بشخوصه وأحداثه وهو السارد لكل الوقائع

- جاءت سورة المرأة في الرواية باهتة جدا، ولعل ذلك يعود إلى إعطاء البطولة الحقيقية للرجل في الصراع القائم في العراق في الفترة التي أرخت لها الرواية "أيام قبل السقوط" وهي تعكس أثر المرأة المحدود في الحياة الاجتماعية والسياسية
- المتعة الفنية موجودة في الرواية حققتها لغة الوصف وحركة الشخصيات وتفاعلها وصراعاتها، وعلى هذا المتعة الموجود أيضا شهادة تاريخية فنية يقدمها عن سقوط مدينة بغداد والعراق ككل

وفي الأخير نسأل الله تعالى التوفيق والرضا والسداد في الخطى أنه ولي ذلك والقادر عليه.

وإن أصبنا فذلك من الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.

الحمد لله الذي نحمده كثيرا، ونشكره على نعمه الوفيرة، ونشكره على أنه أعاننا لإكمال هذا العمل، والشكر موصول إلى الأستاذ المشرف على مساعدته وتوجيهه.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

– منذر المدفي : أيام قبل السقوط، رواية من وحي المجتمع العراقي، دار تيمقاد للنشر، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2013.

قائمة المعاجم العربية:

1. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة، دار احياء التراث، ط2، 1973.
2. ابن منظور: لسان العرب، جزء1، تح عامر أحمد حيدر، راجعه عبد المنعم خليل، منشورات محمد علي، بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2003.

قائمة المراجع :

3. إبراهيم عباس : الرواية المغاربية، تشكل النص السردي في ضوء البعد الايديولوجي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط1، 2005.
4. أحمد محمد : الرواية الإنسانية وتأثيرها على الروائيين العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
5. بشير بويجرة محمد: بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، (1970-1986)، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر، ج 1، ط1.
6. حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1990.
7. حلمي مرزوق: الرومنتيكية والواقعية في الأدب، الاصول الايديولوجية، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت 1983.

8. حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2000.
9. دغريزة مارتين: القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، د ت، سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار الفكر العربي، ط3.
10. سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الافاق العربية ط1، 2001.
11. السعيد بيومي الورقي: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، 1998.
12. شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر الجزائر، د ط، 2009.
13. صبحية عودة زعرب: غسان كنفاني ، جمالية السرد في الخطاب الروائي.
14. عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006.
15. عبد القادر أبو شريفة، حسن لافي قزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
16. عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنية السرد، مطابع الرسالة الكويت، 1998.
17. عبد الوهاب الرفيق: في السرد، دراسة تطبيقية، دار محمد علي الحامي، تونس، 1998.
18. عزيزة مريدن : القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، دط، دت.

19. غالي شكري : معنى المأساة في الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية 1998.

20. فتحي بوخالفة: النقد الأدبي الحديث، عالم الكتب الحديث، الأردن 2012.

21. فخري صالح: في الرواية العربية الجديدة، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2009.

22. محمد بوعزة : تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم ، منشورات الاختلاف، ط1.

23. محمد صابر عبيد، سوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي، دراسة في الملحمة الروائية (مدارات الشرق، نبيل سليمان) عالم الكتب الحديث، 2012.

24. محمد عبد الغني المصري، محمد البكير البرازي: تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، الوراق للنشر والتوزيع، ط1، 2002.

25. محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، دراسة في نقد النقد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.

26. محمد علي سلامة: الشخصيات الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007.

27. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث، دار العودة بيروت، ط1، 1982.

28. محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط4، 1963.

29. محمود العيد تاورته : نشوء الرواية في الغرب، مجلة العلوم الإنسانية العدد الأول، قسنطينة 1968.

30. مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ط1، 2005.

31. نبيلة زوليش: تحليل الخطاب السردي في ضوء المنهج السيميائي، منشورات الاختلاف، 2003.

32. يوسف حطيني: مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.

33. يوسف وغليسي اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

المراجع المترجمة

34. تزفيطان تودوروف: مفاهيم سردية، تر عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، 2012.

35. ديفيدتش : منهج النقد الأدبي، تر محمد يوسف نجم، مراجعة احسان عباس، دار صادر بيروت 1967.

36. جورج لوكاتش: الرواية، تر مرزاق بقطاش، المكتبة الشعية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت.

37. روجر آلان : الرواية العربية، ترجمة حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، د ت.

38. روجر ب هينكل: قراءة الرواية، تر صلاح رزق، دار غريب، د ط، 2005.

39. فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر سعيد بن كراد، تقديم عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار، ط 1، 2003.
40. ميخائيل باختين: الملحمة والرواية، تر جمال شحيذ، معهد الانماء العربي، بيروت 1982.
41. ميشال بوتو: بحوث في الرواية الجديدة، تر انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، ط 3، 1986.

المجلات والدراسات

42. سلام إبراهيم:الرواية العراقية: رصد الخراب،المركز العربي للأبحاث و الدراسات السياسية.
43. سمر وحي الفيصل: الرواية العربية السورية، 1980-1990، دراسة نقدية.
44. يمنى العيد: دلالات النمط السردي في الخطاب الروائي، تحليل رواية، رحلة غاندي الصغير، ملتقى السيميائية والنص الأدبي، عنابة 1995.

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
مدخل إلى الرواية العراقية الحديثة	
مفهوم الرواية العراقية	05
نشأة الرواية العراقية	06
ملخص الرواية	10
الفصل الأول: البنية والشخصية في الرواية العربية	
تعريف البنية	13
مفهوم الشخصية	16
عند علماء الاجتماع	17
عند علماء النفس	17
في النقد الأدبي	18
النظرة التقليدية والحديثة للشخصية	21
أنواع الشخصية الفنية	29
أبعاد الشخصية الفنية	40
طرق تقديم الشخصية	41
أسماء الشخصيات	43

علاقة الشخصية بالمشكلات السردية الأخرى	45
الفصل الثاني: بنية الشخصية في رواية أيام قبل السقوط منذر المدفعي	
توطئة	48
الراوي	49
الشخصيات المحورية "الرئيسة"	52
الشخصيات المساعدة "الثانوية"	58
الشخصيات غير العاملة	81
علاقة الشخصيات فيما بينها	84
خاتمة	88
قائمة المصادر والمراجع	90
الفهرس	

ملخص:

تناول هذا البحث " بنية الشخصية في رواية أيام قبل السقوط لمنذر المدفعي" ملامح وصفات ومؤهلات الشخصية في عمل روائي أصبغ الضوء على مرحلة مرت بها العراق وهي مرحلة الحرب والقصف سنة 2003، وهي رواية أيام قبل السقوط.

ويمثل هذا العمل دراسة وصفية تحليلية ركزت على الشخصية باعتبارها أهم ركائز الرواية ونواتها الرئيسة، كما صور الحالة الدرامية للفقراء في العراق لما لاقته هذه الطبقة من عناء وألم جراء الحصار الدائم الأرضي وويلات القصف الموجع السماوي.

وقسم البحث إلى مقدمة ومدخل وفصلين تطرقت في الفصل الأول إلى الشخصية تعريفها وأنواعها وأبعادها وطرق تقديمها.

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه تحليلا للرواية من جهة أنواع الشخصية وأبعادها وعلاقتها فيما بينها. ومن ثم خلصت إلى مجموعة من النتائج.

فالشخصيات في الرواية واقعية مستمدة من الواقع وقد استطاع الكاتب توظيفها توظيفا جماليا.

Résumé:

Cette "structure de roman personnel dans les jours avant la chute de Munther Médfai" de recherche propose des recettes et des qualités personnelles dans un travail de lumière fiction de repeindre sur la scène est passé par une phase de guerre en Irak et le bombardement en 2003, un roman jours avant la chute.

Ce travail représente l'étude analytique et descriptive axée sur le personnel comme les piliers les plus importants du roman et le noyau principal, comme image situation dramatique des pauvres en Irak l'a rencontré pour cette classe de la difficulté et la douleur causée par le sol de blocus permanent et les ravages de la déchirante bombardements céleste.

Trouvez la section de l'entrée principale et les deux abordé dans le premier chapitre d'une définition personnelle, types et dimensions et les méthodes de soumission.

Le deuxième chapitre qui traite de l'analyse du roman du point de types et dimensions de personnalité et de leur relation avec l'autre. Et puis conclu avec un ensemble de résultats.

Les chiffres sont dans le roman réaliste et tiré du fait de l'écrivain a été en mesure de les employer esthétiquement principaux employeurs.